

مجلة
معهد المخطوطات العربية



المجلد الثالث عشر الجزء الثانى

شعبان ١٣٨٧

نوفمبر ١٩٦٧

مجلة

معهد المخطوطات العربية

مجلة ثقافية تصدر عن معهد المخطوطات فى جامعة الدول العربية
وتعنى بشئون المخطوطات والوثائق العربية وتاريخها

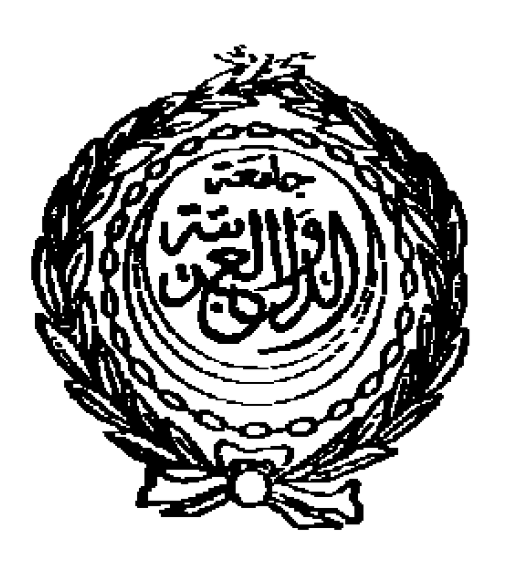
تصدر فى أول مايو وأول نوفمبر من كل سنة
الاشتراك السنوى : ١٠٠ قرش مصرى عدا أجرة البريد
المراسلات والمقالات ترسل باسم

مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية
ميدان التحرير ـ القاهرة
ج . ع . م

صورة الغلاف : السبع ملك الحيوانات ، من مخطوطة مسالك الأبصار للعمرى ، مكتبة روان كشك باستامبول

جامعة الدول العربية

معهد المخطوطات العربية



مجلة
معهد المخطوطات العربية

المجلد الثالث عشر — الجزء الثانى

شعبان ١٣٨٧

نوفمبر ١٩٦٧

طبيعة دور المحفوظات فى المغرب، وعلاقتها بدراسة تاريخ المغرب

بقلم : محمد إبراهيم الكتانى

هذا هو العنوان الذى اقترح على، واصطلاح (دور المحفوظات) اصطلاح غير مستعمل بالمغرب، وإنما يستعمل أحياناً فى بعض بلاد الشرق العربى ترجمة لكلمة (أرشيف) التى تترجم غالباً بالوثائق، ونحن نفضل ترجمتها بالمستندات لأن الوثائق تستعمل فى المغرب فى الوثائق العدلية التى خصها المغاربة بمؤلفات عديدة، وكان لها منذ عهد بعيد دور مهم جدًا فى الحياة الثقافية والاجتماعية بالمغرب .

١ — ومهما يكن، فإن المغرب ليست فيه — لحد الآن — مؤسسة قومية لحفظ وثائق الدولة ومستنداتها التاريخية من مراسلات رسمية، ومعاهدات وما أشبهها، وتنظيمها وفهرستها، على غرار ما هو موجود فى كثير من الدول الحديثة .

٢ — مع أنه توجد بالمغرب ثروة مهمة جداً من المستندات التاريخية مفرقة فى القصور الملكية، وعند بعض الأسر التى سبق لبعض أفرادها أن كانوا وزراء أو سفراء أو كتابا لبعض الملوك أو الوزراء .

٣ — وإنما توجد فى المغرب مكتبات لحفظ الكتب وهى تنقسم إلى : مكتبات قديمة ، ومكتبات حديثة .

٤ — فالمكتبات القديمة توجد في المساجد والزوايا ، وهى أوقاف إسلامية بحيث لا يمكن بيعها أو تفويتها ، وإنما يقتصر على الاستفادة منها والمحافظة عليها للأجيال المتعاقبة .

وهى كثيرة فى المغرب ، مثل مكتبة جامع القرويين بفاس ، ومكتبة الجامع الكبير بتازة ، ومكتبة الجامع الكبير بمكناس ، ومكتبة الجامع الكبير بوزان ، ومكتبة ابن يوسف بمراكش ، ومكتبة المعهد الإسلامى بتارودانت ، ومكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت ، ومكتبة الزاوية الحمزاوية بآيت عياش ، ومكتبة تانغملت ، ومكتبة بزو ، وغيرها ، وهى مكتبات للمخطوطات .

كما توجد بالمغرب مكتبات خاصة مثل :

مكتبات القصور الملكية ، ومكتبات الأفراد من العلماء والباحثين .

٥ — وأما المكتبات الحديثة بالمغرب فأهمها :

(١) المكتبة العامة للكتب والمستندات بالرباط .

(٢) والمكتبة العامة للكتب والمستندات بتطوان .

وفى كل واحدة منها :

(١) قسم خاص بالمطبوعات ، من كتب وصحف ودوريات بمختلف اللغات ، ويلحق به قسم للبيبلوغرافيا المغربية .

٢ — وقسم خاص بالكتب العربية المخطوطة ، ويلحق به قسم حديث لحفظ ملفات الوثائق الإدارية لبعض الوزارات .

٦ — وتوجد فى قسم المخطوطات بالرباط دفاتر تشتمل على مستندات رسمية تاريخية ، وهى مرتبة ضمن الكتب الخطية ، ويحمل كل واحد منها رقمه ضمن أرقام المخطوطات المتسلسلة ، وتجعل له جذاذة خاصة به ، مثل بقية المخطوطات(١) ، ومنها ما لم يفهرس بعد .

٧ — وفى الخزانة العامة مستندات تاريخية فى ورقات منفردة ، وهى نسخ من رسائل رسمية وشبهها ، ولم يتسع الوقت لفهرستها بعد .

٨ — وبها مجموعة مهمة من الصور والخرائط التاريخية .

٩ — ومن أهم المستندات التاريخية المغربية سجلات الأوقاف المسماة بالحوالات ، وهى تشتمل على بيان أملاك المساجد والزوايا والمؤسسات الإحسانية .

وقد استخلص المؤرخ النسابة السيد محمد بن عبد الكبير الكتانى الفاسى ، المتوفى سنة ١٤٦٣ هـ = ١٩٤٣ م من حوالات فاس مؤلفا ضخماً فى المؤسسات الإحسانية بفاس ، وقفت عند أولاده على نسختين منه بخط مؤلفه .

وقد صور قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط على الشريط (الميكروفيلم) أزيد من ٦٠ مجلدا من هذه الحوالات ، وصور حوالى عشر مجلدات تتضمن وثائق أخرى .

١٠ — وأما المكتبة العامة بتطوان ، ففيها أيضاً بعض المستندات التاريخية ، والعمل جار لفهرستها(٢) .

١١ — كما وقع الشروع أخيراً فى فهرسة وثائق القصر الملكى بالرباط .

١٢ — كما يوجد كثير من الوثائق المتعلقة بتاريخ المغرب فى خارج المغرب ، فى وثائق الدول التى كانت للمغرب معها علائق ديبلوماسية ، وهى جل الدول المتحضرة ، فى أفريقيا ، وآسيا ، وأوروبا ، والولايات المتحدة .

١٣ — وللمكتبة العامة بالرباط فرع فى باريس باسم القسم التاريخى المغربى ، مهمته البحث عن الوثائق المغربية الموجودة فى مختلف البلاد الأوربية ، ووضع فهارس لها ، وترتيب ما يوجد منها فى كل بلد حسب العصور ، ودراستها و نشرها بنصها العربى مصوراً ، وبالحروف المطبعية ، مع ترجمتها إلى لغة البلاد التى وجدت بها .

١٤ — وقد صدر منها لحد الآن حوالى ٢٨ مجلداً ضخماً ، بعنوان مصادر تاريخ المغرب غير المطبوعة . وهى تتضمن بعض ما يوجد فى البرتغال وأسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولاندة عن العلاقات بين المغرب وهذه الدول .

١٥ — وفى هذا القسم بباريس صناديق كثيرة تتضمن عدداً كبيراً من جذاذات فهارس كثير من الوثائق الموجودة فى كثير من الدول .

١٦ — ولكن كثيراً من دول أخرى لا أثر للوثائق المغربية بها فى هذا القسم ، مثل تركيا وأميركا ، وغيرهما .

١٧ — وأما الكتب المخطوطة فى المكتبات المغربية المختلفة ، فإن لها على العموم صلة بالتاريخ المغربى من قريب أو بعيد ، حتى ولو كانت فى موضوع غير تاريخى كما لا يخفى .

١٨ — وإن ما اعتاده كثير من المؤلفين العرب فى العصور المتأخرة من الاستطراد والخروج عن موضوع الكتاب الأصلى لأدنى مناسبة —

كما يقولون — جعلك تعثر على معلومات تاريخية صميمة ، فى كتب بعيدة بعداً كبيراً عن موضوع التاريخ[٣] .

١٩ — وقد جرت عادة كثير من الناسخين والمجلدين أن يتركوا فى أول الكتاب وآخره أوراقاً بيضاء ، وكثيراً ما يكتب بعض مالكى الكتاب فى هذه الأوراق البيضاء تقاييد مختلفة ، وقد يكون من بينها معلومات تاريخية : من وفيات بعض الملوك والحكماء أو الصالحين ، أو حدوث وباء أو حريق أو حرب أو ثورة أو ما شابه ذلك ، بينما الكتاب قد يكون فى موضوع بعيد أشد البعد عن التاريخ ، كالأذكار أو الأمداح النبوية أو الطب أو الحساب أو غير ذلك[٤] .

٢٠ — وأما الكتب التاريخية أو القريبة الصلة بالتاريخ فإن للمغرب منها ثروة مهمة تتناول تواريخ دوله ، ورجاله من العلماء والفقهاء والصوفية ، والمحدثين ، والوزراء والكتاب ، وأهل بعض القرون ، وبعض المدن ، وبعض الأقاليم وبعض القبائل ، وبعض العائلات ، وبعض الطرق الصوفية ، وما أشبه ذلك[٥] ويقارب عددها — فيما وصل إليه علمنا فى الوقت الحاضر — الثلاثة آلاف كتاب ، وإذا استثنينا من هذا العدد ما يعتبر ضائعاً ، وما وقع التساهل فى عده من كتب التاريخ مع بعد صلته بها ، فإن العدد الباقى بعد ذلك يتجاوز الألف كتاب بكثير .

٢١ — وقد ردد عميد المستشرقين الروس كراتشكوفسكى — أكثر من مرة — قوله : إن التأليف التاريخى استمر منتعشاً فى المغرب ، ابتداء من القرن الخامس عشر حتى فاق المغرب فى هذا بقية الأقطار العربية ، وظل هذا الفن يشغل اهتمام علمائه المحليين إلى القرن العشرين ، كما أن نمط الرحلة التقليدى

بقى حيًّا إلى القرن التاسع عشر (٦) .

والواقع أن نمط الرحلة التقليدى استمر هو الآخر حيًّا إلى القرن العشرين ، وما يزال إلى اليوم .

٢٢ — والظاهر أن ما أشار إليه من استمرار التأليف التاريخى منتعشاً فى المغرب يرجع بالأخص إلى اعتزاز المغاربة القوى باستقلالهم السياسى الذى ظلوا متمتعين به طوال تاريخهم الإسلامى ، وتفانيهم فى المحافظة عليه ، وتمسكهم الشديد بشخصيتهم الخاصة ، فلم يصبهم ما أصاب البلاد العربية الأخرى من جراء الحكم التركى ، مما جعل الثقافة العربية تحافظ على ازدهارها فى المغرب .

وهذا التعليل أقرب من التعليل الذى نقله كراتشكوفسكى (٦) عن بروكلمان من أن الانقلابات العديدة فى الحكومات قد عاونت كثيراً على إمدادهم — يعنى علماء المغرب — بالمادة اللازمة !

ولا شك أن كثرة ما ألفه المغاربة فى الميادين التاريخية التى لا تتصل بميدان الانقلابات الحكومية تدل على ضعف التعليل الذى ذكره !

٢٣ — يناهز عدد المخطوطات العربية فى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط اليوم عشرة آلاف مخطوط ، بعد أن كان على عهد الحماية لا يتجاوز الألفين إلا بقليل — بينها حوالى ١٥٠ تتصل بتاريخ المغرب (٧) .

فقد أضيفت إليها — بعد الاستقلال — كثير من مخطوطات عدة مكتبات أهدتها مصلحة الأملاك المخزنية للخزانة العامة بالرباط .

وأوقف السيد ابن عاشر الكتبى بالرباط أزيد من ثلاثمائة مخطوط ، سلمها لقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط .

وأسست بقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط جناحاً بمخطوطات الأوقاف التى عثرت عليها فى مكتبات الأوقاف ، وخصوصاً فى مكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت التى تقع بوادى درعة على بعد نحو ٤٠٠ كيلومتر جنوب مراكش حيث عثرت على حوالى ٤٠٠٠ مخطوط ، يكاد ما يتعلق منها بتاريخ المغرب يقارب المائة ، بينها بعض النوادر والفرائد اليتيمة[٨] .

وقد أمر المرحوم محمد الخامس بنقل حوالى ألف منها إلى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط .

٢٥ — ومن النوادر المتعلقة بتاريخ المغرب التى عثرت عليها بتامكروت :

(١) المسند الصحيح الحسن ، بذكر مآثر السلطان أبى الحسن (المرينى) تأليف الخطيب ابن مرزوق[٩] .

(٢) والمجلد الأخير من (البيان المغرب) الخاص بتاريخ دولة الموحدين لابن عذارى المراكشى[١٠] .

ومن الفرائد اليتيمة :

١ — الإكسير ، فى فكاك الأسير ، للسفير محمد بن عثمان المكناسى المتوفى سنة ١٢١٤ هـ = ١٧٩٩ م ، وهى رحلة عن سفارته لأسبانيا سنة ١١٩٣ هـ = ١٧٧٩ م[١١] .

٢ — هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام ، لأحمد بن محمد بن داود ابن يعزى بن يوسف احزى الجزولى المشتوكى المتوفى سنة ١١٢٧ هـ = ١٧١٥ م وهى رحلته الأولى للحج من تغازى سنة ١٠٩٦ هـ = ١٦٨٤ م[١٢] .

٤ — رحلته الثانية للحج سنة ١١٢١ هـ = ١٧١٠ م ، وهما معاً مبيضة المؤلف بخطه[١٢] .

٤ — رحلة الحج لعبد الله أبي مدين بن أحمد بن الصغير الدوعي الروداني المتوفى عام ١١٥٧ هـ = ١٧٤٤ م، كان حجه عام ١١٥٢ هـ = ١٧٣٩ م[١٣]. وجاور بالمدينة ثم حج ثانية ورجع عام ١١٥٥ هـ = ١٧٤٢ م، وفيها معلومات طريفة مفيدة فى تاريخ المغرب، وكان ذهابهم عن طريق الصحراء ورجوعهم عن طريق تازة وفاس ومكناس ومراكش.

٥ — ورد الشهى الماطش، وصولة الإسلام بالعرائش، وهى أرجوزة ليوسف بن محمد الشودرى التطوانى، وتحتوى على نحو سبعين ومائة بيت، نظمها بمناسبة تحرير مدينة العرائش من الاحتلال الأجنبي عام ١١٠١ هـ = ١٦٨٩ م[١٤].

وعثرت فى مكتبة الجامع الأعظم بمدينة تازة على :

١ — مجموعة من الأوراق المختلطة تبين بعد ترتيبها الذى تطلب وقتاً طويلا أنها تتضمن : حوالى عشرين رسالة موحدية أغلبها من مؤلفات المهدى ابن تومرت (... — ٥٢٤ هـ) (... — ١١٣٠ م).

وإذا كان أغلب مافى هذه المجموعة موجودا فى المجموعة المعروفة بكتاب (أعز ما يطلب) المطبوعة فى الجزائر سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م. فإن فيها — مع ذلك، ومع ضياع بعض أوراقها — مخالفات مع النسخة المطبوعة.

كما أن بها رسالتين موحديتين غير معروفتين : إحداهما بعنوان : رسالة أمير المؤمنين أيده الله إلى جزولة، والثانية : إلى جماعة أهل التوحيد.

وبها كذلك (كتاب الجهاد) الذى أ كله الخليفة أبو يوسف يعقوب

ابن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠ — ٥٩٤ هـ = ١١٨٠ — ١١٩٩ م) وهو بتاريخ ربيع الأول ٥٩٥ هـ (يناير ١١٩٩) .

ولا تعرف منه نسخة فى مكان آخر .

وهذه أول مرة يعلن فيها عن العثور على هذه المجموعة .

٢ — مباحث الأنوار ، من أخبار بعض الأخيار ، تأليف أحمد بن يعقوب الولالى نزيل مكناس ، المتوفى سنة ١١١٨ هـ = ١٧٠٦ م(١٥) .

وعثرت فى المكتبة اليوسفية بمراكش على مجلد ضخم مختلط الأوراق ، لا أول له ولا آخر ، وبعد جهد جهيد وجدته شرحا لبعض رسائل المهدى ابن تومرت ، ومؤلفه يسمى نفسه أبا بكر ! ويسمى المهدى بالمعصوم ! ويترضى عنه كلما ذكره ، مما يدل على أنه ألف في عهد التحمس لوصف ابن تومرت بالعصمة ! ويتجلى من كلام المؤلف اطلاعه الواسع على كتب كبار المتكلمين والأصوليين من الأشاعرة ، وهو مفيد جدا فى معرفة آراء الموحدين الكلامية والأصولية ، وخصوصا حول القياس والاجتهاد اللذين كثر الجدل بين المؤرخين المغاربة المعاصرين حول موقف الموحدين منهما ، وهو جدير بالدراسة المتعمقة .

٢٦ — ويوالى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط عنايته بتنمية عدد مخطوطاته وخصوصا التاريخية منها ، وعلى الأخص المتعلقة بتاريخ المغرب .

٢٧ — ومن أهم أعمال قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط قيامه بتصوير كل ما يستطيع التوصل إليه من نوادر مخطوطات الأوقاف ومخطوطات

المكتبات الخصوصية ، وحتى بعض المخطوطات الموجودة خارج المغرب[١٦] .

٢٨ — وتجاوز أشرطة المخطوطات فى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط ألف مخطوط ، وبها نحو مائتى مخطوط فى تاريخ المغرب ، ومنها :

٢٩ — (١) المجلدان الرابع والخامس من كتاب الدر المنتخب المستحسن ، فى بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن ، تأليف أبى العباس أحمد ابن محمد بن الحاج السلمى المتوفى سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م[١٧] .

(٢) المجلدات الستة التى ما زالت مخطوطة من كتاب الإعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام . للقاضى عباس ابن إبراهيم المراكشى — وقد سبق أن طبعت منه الأجزاء الخمسة الأولى .

(٣) الظل الوريف ، فى محاربة الريف ، للقاضى أحمد بن العياشى سكيرج ، المتوفى عام ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م .

وهى معلومات عن ثورة التحرير الريفية ، بقيادة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابى ، رحمه الله ، تلقاها المؤلف شفاهيا من أحد قادة الثورة السيد محمد أزرقان ، الذى كان منفيا بمدينة الجديدة ، وكان المؤلف قاضيا بها . ويقع فى حوالى مائة ورقة .

٣٠ — ومن نشاط قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط قيامه بترتيب مخطوطات مكتبة القصر الملكى بالرباط ، وتنظيمها وفهرستها والتعرف على نفائسها وذخائرها .

وقد ناهز ما أتممنا — لحد الآن — تسجيله وفهرسته التسعة آلاف مخطوط ، ومن بينها من المخطوطات المتعلقة بتاريخ المغرب ، وكثير من النوادر والفرائد اليتيمة(١٨) .

٣١ — وفي قسم المخطوطات بالخزانة العامة بتطوان حوالى ٩٠٠ مخطوط ، ولم يشرع فى فهرستها إلا حديثا ، ولا تخلو من بعض المخطوطات التاريخية ، ولـكن ليس فيها ما له قيمة خارقة للعادة(١٩) .

٣٢ — ومن أهم مراكز المخطوطات العربية بالمغرب مكتبة جامع القرويين بفاس ، حيث يوجد أزيد من ثلاثة آلاف مخطوط ، ولـكن تقل بينها المخطوطات التاريخية وخصوصا المتعلقة بتاريخ المغرب ، ومن بينها :

مجلدان ضخمان مشتملان على وثائق متعلقة بأملاك المرابيح من بلاد جير والساورة بأرض البيض ، بتـاريخ عام ١١١١ هـ = ١٦٧٩ م وهى من الأقاليم التى استمرت تحت حكم الدولة المغربية إلى أوائل هذا القرن (رقم ٤٠/٧٧٩) (٢١) .

وليس لمخطوطات القرويين فهرس مطبوع باستثناء قائمة لا قيمة لها(٢) .

٣٣ — وقد عرف المغرب فى القرن ١٩ منذ عرف المطبعة حركة نشيطة لطبع مخطوطاته التاريخية ، واستمرت حركة النشر حتى فى عهد الحماية على الرغم من محنة اللغة العربية والثقافة المغربية فى هذا العهد البغيض ، وما أن استعادت الأمة استقلالها السليب حتى عرف نشر مخطوطات التاريخ المغربى نشاطا ملحوظا ، حيث تقوم المطبعة الملـكية بنشر مجموعة من نوادر مخطوطات مكتبة القصر الملـكى التـاريخية ، كما قام مركز البحث العلمى التـابع لجامعة محمد الخامس بتعاون مع معهد مولاى الحسن بتطوان بنشر مجموعة مهمة من

المخطوطات التاريخية المغربية ، وكثير منها مما عثرنا عليه أثناء البحث عن نوادر المخطوطات بعد استقلال المغرب ، وهذا زيادة على ما نشره بعض المؤلفين أو بعض دور النشر الخاصة .

وما يزال فى كل من المكتبتين العامتين بالرباط وتطوان ، ومكتبة القصر الملكى ، وبعض مكتبات الأوقاف ، وفى بعض المكتبات الخاصة مخطوطات تاريخية عديدة تنتظر دورها للنشر هى الأخرى .

المراجع :

(١) راجع الرجراجي وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة برباط الفتح ، القسم الثانى ، الجزء الثانى ، مطبوعات أفريقيا الشمالية بالرباط ١٩٥٨ م ، رقم ٢١٠١ ، ٢١٠٢ ، ٢١١٣ ، ٢١٢٨ .

(٢) راجع أحمد المكناسى ومصطفى الكوش : وثائق لدراسة تاريخ المغرب ، مراسلات مولاى الحسن الأول ، ١٢٩٤ — ١٣١١ هـ (١٨٧٧ — ١٨٩٤ م) (القسم الأول) المجموعة الأولى ، تتضمن ٤١٣ وثيقة ص ١٠٠ ، مطبعة منيرفا ، تطوان ١٩٦١ .

المكناسى ومحمد الغازى الرويقى : وثائق لدراسة تاريخ المغرب مراسلات وزراء مولاى الحسن الأول ١٢٩١ — ١٣٠٨ هـ (١٨٧٤ — ١٨٩١ م) المجموعة الأولى القسم الثانى ، ويتضمن ٣٠٨ وثيقة ص ١١٠ مطبعة المكتبة العامة بتطوان ١٩٦٥ .

(٣) راجع محمد المنونى : المصادر الدفينة فى تاريخ المغرب ، مجلة (البحث العلمى) التى يصدرها المركز الجامعى للبحث العلمى التابع لجامعة محمد الخامس ، السنة الرابعة ، العدد العاشر ، يناير — أبريل ١٩٦٧ ص ٩ — ١٩ مطبعة الرسالة بالرباط .

(٤) راجع محمد إبراهيم الكتانى : جولة فى المخطوطات العربية باسبانيا ، مجلة (دعوة الحق) ، الرباط ، السنة العاشرة ، العدد الثانى ، ديسمبر ١٩٦٦ م ص ٩٧ رقم ٧٤ ، ٧٥ والعدد الخامس ، أبريل ٦٧ ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٥) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م مطبوعات معهد مولاى الحسن ، المطبعة الحسنية ، تطوان ، الطبعة الثانية ١٩٦٠ و ١٩٦٥ ، دار الكتاب ، الدار البيضاء .

(٦) راجع اغناطيوس يوليانفتش كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم . ص ٤٦١ و ص ٧٣٠ . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٣ و ١٩٦٥ .

(٧) راجع ليفى بروفانصال : فهرسة أسماء الكتب المخطوطة المحفوظة فى خزانة المدرسة العليا للغة العربية بعاصمة رباط الفتح (ص ١٢٤ — ٦٢) . القسم الأول .

وعبد الله الرجراجى وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) القسم الثانى (١٩٢١-١٩٥٣ م) الجزء الثانى (ص ١٠١ — ١٤١) مطبوعات أفريقيا الشمالية الفنية ، شارع بيارن رقم ٢٢ الرباط ١٩٥٨ م .

(٨) راجع عبد الله شقرون : اكتشاف مخطوطات عربية نادرة فى المغرب، حديث مع الأستاذ محمد إبراهيم الكتانى ، مجلة (الإذاعة الوطنية) الرباط ، العدد الثالث عشر ، السنة الثانية (غشت) ١٩٥٩م — ص ١٤—١٦ .

(٩) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى رقم ١٦٦ . الدار البيضاء ١٩٦٠ م .

وزارة التهذيب الوطنى : قائمة لنوادر المخطوطات العربية بمناسبة الذكرى المائة بعد الألف لجامعة القرويين بفاس ، الرباط ١٩٦٠ م ص ٦٧ رقم ٣٠٠ .

(١٠) راجع امبروسى هويسى مرانده . مقدمة الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذارى ، تطوان ١٩٦٠ م ص ٨ — ٩ .

وعبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ١٩٦٠ رقم ٤٦٨ .

(١١) راجع محمد إبراهيم الكتانى : الكتاب المغربى أوقيمته . مجلة (البحث العلمى) العدد ٤ و ٥ ، السنه الثانية ، يناير — غشت ٦٥ص ١١ .

ومحمد الفاسى : مقدمة (الإكسير) الرباط ١٩٦٥ ص : ط ، ظ ، و . منشورات المركز الجامعى للبحث العلمى ، مطبعة أكدال ، الرباط ، ١٩٦٥م .

وعبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، الطبعة الأولى تطوان ١٩٥٠ رقم ١١٤٣ ، والطبعة الثانية الدار البيضاء ١٩٦٥ م رقم ١٤٣٤ .

(١٢) راجع عبد السلام ين سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى الدار البيضاء ١٩٦٥ رقم ١٦١٧ ورقم ١٤٨٦ .

(١٣) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب ، الدار البيضاء ١٩٦٥ م رقم ١٤٢ .

(١٤) راجع محمد داود : تاريخ تطوان ، المجلد الثانى ص ١٣ التعليق ١ . تطوان ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م ، معهد مولاى الحسن للبحوث .

(١٥) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ١٩٦٠ م رقم ٨٥٦ .

(١٦) راجع محمد إبراهيم الكتانى : جولة فى المخطوطات العربية بأسبانيا ، مجلة (دعوة الحق) التى تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط . السنة التاسعة ، العدد التاسع والعاشر ، يوليو — غشت ١٩٦٦م ص ٨٢ —

٨٧، السنة العاشرة العدد الأول . نوفمبر ١٩٦٦ ص ٦٤ — ٨٩ . العدد الثانى ديسمبر ١٩٦٦م ص ٩٣ — ٩٨، العدد الثالث يناير ١٩٦٧م ص ٩٢ — ٩٧، العدد الخامس أبريل ١٩٦٧ م ص ٥٣ — ٥٨ .

(١٧) راجع عبد السلام بن سودة : مؤرخ المغرب رقم ٥٤٢ . الدار البيضاء ١٩٦٠ م .

(١٨) راجع محمد الفاسى : الخزانة السلطانية وبعض نفائسها . مجلة (البحث العلمى) — الرباط — العدد الرابع والخامس، السنة الثانية ، يناير -- غشت ١٩٦٥ م ، مطبعة الرسالة بالرباط ، ص ٦٦ — ٧٧ .

وراجع محمد إبراهيم الكتانى : العثور على خمس مخطوطات من (البيان المغرب) بمكتبة القصر الملكى بالرباط لم تكن معروفة من قبل . مجلة (تطوان) للأبحاث المغربية الأندلسية ، منشورات الجامعة المغربية ، كلية الآداب ، معهد مولاى الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد التاسع ١٩٦٤ م ، ص١٦٧ — ١٧١ .

(١٩) راجع عبد الله جنون : المخطوطات العربية فى تطوان ، مجلة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، المجلد الأول . الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ م ص ١٧٠ — ١٨٩ .

(٢٠) راجع العابد الفاسى : خزانة القرويين ونوادرها ، مجلة معهد المخطوطات العربية —القاهرة — المجلد الخامس ، الجزء الأول، مايو ١٩٥٦ م ص ٨ — ١٦ .

(٢١) راجع برنامج يشتمل على بيان الكتب العربية الموجودة بخزانة جامع القرويين بعاصمة فاس ، فاس بالمطبعة البلدية بدار المكينة سنة ١٩١٧ م ويعرف بفهرس بل .

مخطوطات حلب

بقلم : سامى الكيالى

قد يطول الحديث عن المكتبات القديمة فى حلب — عن الخزائن المنتشرة فى أروقة الجوامع والمدارس الدينيــة ، إنهــا كثيرة تضمّ مئات الكتب المخطوطة بل الآلاف ، ولا أبالغ حين أقول إنهــا تزيد على عشرين أو ثلاثين ألف مخطوط تناثر قسم منها هنا وهناك وهنالك ، امتدّت إليها أيدى العابثين فانتقلت من مقرّها إلى شتى مكتبات العالم ، ولم يبق من هذا العدد الوفير غير خمسة أو ستة آلاف مخطوط قامت « دار الكتب الوطنية » بجمع ما تفرق منها فى المدارس والجوامع ، وكتابة فهارسها ، ثم سلّمتها إلى مكتبة الأوقاف الإسلامية فى قصة وظروف ليس هنا مجال سردها .

وعناية حلب بدور الكتب جدّ قديمة ..

فمنذ عهد سيف الدولة أو قبله إلى يومنا هذا ، وهذه العناية لم تنقطع ، توارثها الأبناء عن الأجداد ، حتى كان البعض يعتبرها حلية من حلى البيوت والقصور ، وكان يفاخر الرجل إذا وقف طائفة من الكتب على مدرسةٍ ما ليفيد منها طلاب العلم ، فيعتبرها من أمتع وأثمن هداياه .

يقول الحافظ الذهبي فى تاريخه :

« إنه كان فى خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره » .

وكرّت الأيام ، وتعاقبت العصور ، وخزائن الجوامع والمدارس وبيوت

العلماء تزداد أو تنقص حين تنقضّ عليها الأيدى العابثة ، إذ لم تكن المكتبات تخضع فى الماضى لهذه الأنظمة التى نعرفها اليوم .

كانت مفتحة الأبواب يغرف منها الطالب ما يريد ، والمفروض أن يعيد الكتاب بعد أن يفرغ من مطالعته والإفادة منه إلى مكانه ، كما توجبه الأمانة العلمية ، ولكنه يهمل ذلك ، أو يعيره لصديق له كأنه ملكه ، أو — وهذا الأرجح — يضنّ أن يخرج من حوزته فيضمّه إلى مكتبته ، ولا يتورع بعض هواة الكتب أن يستبيحوا ما طاب لهم من ثمرات تلك المكتبات الزاخرة بفنون المعرفة بدعوى أنهم أحق بها من غيرهم !

ففى تاريخ ابن خلّكان ، فى ترجمة أبى السعادات المعروف بالمسعودى :

أنه لما دخل السلطان صلاح الدين الأيوبى إلى حلب سنة ٥٧٩ هـ نزل المسعودى إلى جامع حلب ، وقعد فى خزانة كتبها الموقوفة ، واختار منها جملة أخذها ، لم يمنعه منها مانع .

ولقد رأيته — والكلام هنا لأبى بركات الهاشمى — قال : لقد رأيته وهو يحشوها فى عِدل[1] !

ويعقّب المؤرخون على هذه الحادثة بأن السلطان صلاح الدين مؤاخذ لعدم ردعه المسعودى عن أخذه هذه الكتب !

وبعد المسعودى جاء كثيرون إلى حلب ، ولا سيما المستشرقون الذين ابتاعوا من المتولّين الكثير من النفائس التى نقلت بالسرّ أو بالعلن ، إلى شتى مكتبات الغرب ، ولهذا حديث سأشير إليه فيما بعد .

* * *

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص (٥٢٠) المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ .

لقد عرفت حلب بين المدن الإسلامية الكبرى بوفرة مكتباتها المليئة بنفائس المخطوطات ، وسببه حرص الأجداد على اقتناء ذخائر الكتب حرصاً يدعو إلى العجب .

فمن الحكايات اللطيفة التى ترينا مدى هذا الحرص القصة التى يرويها الصلاح الصفدى عن الوزير جمال الدين القفطى قال :

« إنه وقع له نسخة من كتاب الأنساب لابن السمعانى بخطه ينقصها مجلد من أصل خمسة ، فلم يزل يبحث عنه ، ويطلبه من مظانّه دون أن يظفر به .

« ثم جاءه أحد أخصّائه وأخبره أنه احتاز سوق القلانسيين الذين يعملون القلانس ، فوجد أوراقاً منه ، وأحضرها إليه ، وذكر القصة فأحضر الصانع وسأله عنه فقال :

اشتريته فى جملة أوراق ، وعملت قوالب القلانس ! .

فحدث عنده من الهم والغم والوجوم مالا يمكن التعبير عنه ، حتى إنه بقى أياماً لا يركب إلى القلعة ، وقطع جلوسه — أى استقبال الناس — وأحضر من ندب على الكتاب كما يندب على الميت المفقود المؤيس منه ، وحضر عنده الأعيان يسلّونه كما يسلّى من فقد له عزيز ! » .

ولا غرابة أن يحزن هذا القاضى العالم الذى كانت له مكانته السامية أيام الملك الظاهر ، والذى تولى الوزارة فلقب بالوزير الأكرم فى أيام الملك العزيز — لا غرابة أن يحزن على فقد كتاب هذا الحزن الأليم ، فقد كان من أوفى الناس للكتاب ، جمع من الكتب مالا يوصف ، وقصد بها من الآفاق ، إذ كان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة ، وأشار

المؤرخون إلى مكتبته التي اعتبروها من أندر للمكتبات التي تساوى خمسين ألف دينار ، أوصى بها بعد مماته ، للناصر صاحب حلب .

ويعلم القراء أن جمال الدين القفطى « ٥٦٨ — ٦٤٦ هـ » قد صنف عدة كتب أشهرها « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » و « إنباه الرواة على أنباه النحاة » و « الدر الثمين فى أخبار المتيّمين » و « أخبار مصر » فى ستة أجزاء و « بقية تاريخ السلجوقية » وغير ذلك من المصنفات النفيسة .

فمكتبة عالم واحد قُدرت قيمتها بخمسين ألف دينار ، فما نمن مكتبات جهابذة العلماء الذين عاشوا فى حلب وتركوا آلاف المخطوطات ، وأكثرها بخطوطهم !.

* * *

ويروى الشيخ كامل الغزى مؤلف كتاب «نهر الذهب فى تاريخ حلب» عدة قصص عن ولع الحلبيين بالكتب ، وعن اللصوص الذين امتدت أيديهم إلى هذه الذخائر فيقول :

« إن ولع الحلبيين باقتناء الكتب كان ولم يزل غريزة فيهم ، فقد أدركنا الكثيرين من علماء حلب وأغنيائها من هو شديد العناية باقتناء الكتب المخطوطة النادرة حتى إنهم كانوا يتسابقون إلى اقتنائها ويبذلون الأموال الطائلة فى استنساخها .

« أدركنا منهم من استكتب كتاب « تاج العروس » للزبيدى شرح قاموس الفيروزابادى فصرف عليه نحواً من مائتى ذهب عثمانى ، إلى غير ذلك من الكتب الكبيرة التي كان أغنياء الحلبيين يتسابقون إلى اقتنائها » .

ثم يقول :

« أدركنا فى مدينة حلب عدة مكتبات غنية بالكتب المخطوطة النادرة ، قد تسلط عليها لصوص الكتب فسلبوها كل ماحوته من الطرف والتحف ،

وإننا منذ زمن الصبا حتى الآن — نرى تجار الكتب المخطوطة يترددون إلى حلب ويملأون من مكتباتها الصناديق الكثيرة ، عدا ما نراه من سواح الغرب وسماسرة المستشرقين الذين يختطفون الكتب النفسية الخطية من أيدى طائفة من البسطاء ، لا يفرقون بين الطين والعجين ، فيشترونها منهم بأبخس الأثمان .

« وإنى على يقين من أن مدينة حلب ما زال يوجد فيها العدد العظيم من الكتب الخطية النادرة ، التى إذا بحثت عنها وجدتها فى زوايا الإهمال و النسيان فى بيوت جماعة من جهلة العامة ، قد هبطوا من أصلاب رجال كانوا يعدون من نبغاء العلم والأدب ، فخلف من بعدهم خلف أهملوا العلم وركبوا متن الجهل وباعوا ما كان فى خزائن أسلافهم من الكتب والأسفار ، وبقى عندهم منهم بقية عدوها من سقط المتاع ، حتى إذا لفتتهم إليها الصدف حملها واحد من أطفالهم أو واحدة من عجائزهم وقصد بها باعة الكتب ، أو السوق العامة المعروفة بسوق الجمعة ، حيث تباع السلع الرخيصة ، فيبيعون منها ما قيمته ألف قرش مثلاً بنصف قرش .

« من الصدف الغريبة التى صادفتها ، أننى بقيت مدة طويلة أبحث عن كتاب « كنوز الذهب » فلم أظفر به ، ومضى على ذلك أعوام ، وقد يئست من الظفر به ، إلى أن كنت يوماً من الأيام ماراً فى سوق من أسواق حلب ، إذ أبصرت بامرأة عجوز ، يدل إزارها على فقرها ، وفى يدها كتاب يلوح عليه القدم فاستوقفتها وقلت لها : ما هذا الكتاب ؟ أجابتنى بقولها : « قصة حلب» فتناولته من يدها وسرعان ما فتحته ، وقرأت من خطبته سطوراً ، فإذا هو ضالتى المنشودة هو « كتاب كنوز الذهب » بخط مؤلفه ، فقلت لها : بكم تبيعينه ؟ قالت : دفع إلى به بائع الكتب خمسة قروش ، وأنا لا أبيعه إلا

بعشرة قروش ، فنقدتها عشرة قروش ، وأخذت منها الكتاب ، ولو أنها طلبت منى ثمنه ألف قرش لما استكثرتها .

ثم يتحدث عن المكتبات التى فقدت فيقول :

« . . أما المكتبات المفقودة فى حلب ، وكانت على جانب عظيم من الغنى فهى مكتبة بنى الشحنة ، ومكتبة بنى العديم ، ومكتبة بنى الخشاب ، وغيرهم من الأسر العلمية التى كانت تعد من أجلّ بيوتات العلم فى حلب ، ومن تلك المكتبات مكتبة الجامع الكبير ، ومكتبات المدارس الكبرى كالمدرسة السلطانية والعصرونية والحلوية والشرقية والرواجنة ، فإن جميع هذه المكتبات فقدت برمتها فى حادثة تيمور لنك ، فمنها ما استأثر به تيمور لنك وابتاعه ، ومنها ما انتهبته العامة أثناء تلك الحادثة وطرحوه فى زوايا بيوتهم ، ثم باعوه بأبخس الأثمان[1] » .

* * *

شهرة مخطوطات حلب دفعت بعض المستشرقين أن يأموا المدينة للبحث عن هذه الذخائر ، ولعل أول مستشرق قصد حلب ، وعرف الكثير من مخطوطاتها قس إنكليزى جاء من الوكالة التجارية الإنكليزية The English Tactary قبل نيف وثلاثمائة سنة[2] .

لقد أحب هذا القسيس الشاب الشرق بعد أن اطلع ، وهو تلميذ ، على بعض الكتب الدينية وغيرها التى تتحدث عن الشرق ، وكان مدرساً للتوراة

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب ج ١ ص ١٦٩ — ١٧١ .

(٢) كانت الوكالة الإنكليزية مؤلفة من قنصل وأربعة تجار وقسيس وطبيب وحاجب ، وهى أول بعثة أجنبية تؤسس فى حلب فى بداية سنة « ١٥٨١ م = ٩٨٩ هـ » .

في «كورب كريستى كوبليج = مدرسة جسد المسيح» حيث حصل سنة ١٦٢٤م على شهادة الماجستير ، وأخذ مبادئ العربية على البروفسور ماتياس باسورا الألمانى ، ثم اتصل بوليم بيدويل ، أكبر علماء الانكليز بالعربية آنئذ ، وهو الذى أصدر أول ترجمة إنكليزية للقرآن الكريم ، والذى كان يصف اللغة العربية بأنها اللغة الوحيدة للدين ، واللغة الرئيسية للسياسة والعمل من الجزائر السعيدة إلى بحار الصين .

حين وصل هذا القس إلى حلب أخذ يبحث عن أستاذ ضليع فى اللغة العربية ليتتلمذ عليه ، ولم يطل بحثه ، فسرعان ما وقع اختياره على عالم من كبار العلماء ومن أئمة البيان وهو الشيخ فتح الله البيلونى ، فتتلمذ عليه ، وبدأ يلازمه صبح مساء ، وظل يقرأ عليه ويأخذ عنه مدة خمس سنوات كاملة إلى أن استطاع أن يحذق الفصحى ، بعد أن حذق « العامية » من أفواه الحلبيين .

وكان لابد له من مراجع للاستزادة من علوم العربية ، وكانت خزانات الكتب مفتوحة لكل طارق ، فكان يؤمها بصحبة أستاذه أو وحده بعد أن يؤذن له بدخول الجوامع والمدارس ، وقد هاله أن يرى علوم الشرق مبثوثة فى هذه الكتب ، وازداد تردداه ، وكثيراً ما كان يقضى النهار كله فى القراءة والنسخ .

إنه إزاء ثروة لا تقدر بثمن ، فتحلب ريقه ، فلم يكد يهم بالعودة إلى وطنه حتى امتدت يده إلى ما يقرب من ألفى مخطوط !

لم يكن هذا القسيس الذى أخذ ثقافته العربية عن مخطوطات حلب سوى المستشرق الإنكليزى الشهير إدوار بوكوك .

يقول الدكتور ج. أ. أربرى مؤلف كتاب «المستشرقون البريطانيون» فى صدد كلامه عن بوكوك: إنه أثناء السنوات الخمس التى عاشها فى حلب جمع مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية، تكون الآن قسماً من أثمن محتويات المكتبة البودلية — نسبة إلى أستاذه وليم بيدويل، مترجم القرآن الذى أهدى مكتبته إلى جامعة اكسفورد.

ويقول برترلويس فى كتابه «مساهمة البريطانيين فى الدراسات العربية» وهو يعرض إلى مخطوطات حلب التى نقلها إدوار بوكوك:

«.. قد اقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية عاد بها إلى اكسفورد، فأنقذها من الدمار الذى كان من المحتمل أن يحل بها»!

أنقذها من الدمار الذى كان من المحتمل أن يحل بها

لقد استوقفتنى هذه الجملة كثيراً، ففيها تنطوى كل هذه الفوارق بين الشرق والغرب؛ بين حرصه على مثل هذه الكنوز وبين تهاوننا فى الحفاظ عليها!.

وهذه المخطوطات التى تحمل بين صفحاتها علوم الأولين من فلسفة ومنطق وفلك وتاريخ وشعر وأدب — لم تكن فى نظر بعض شيوخنا الأجلاء إلا تخرصات أولى بها القمامات أو ألسنة اللهب! فالجهالة الطاغية من روح العصر فى تلك الفترات السود لم تكن لتعطى أهمية بالغة لمثل هذه الكنوز، التى كانت مبعثرة هنا وهناك، غير معتنى بها، كما قلت، لا يلتفت إليها إلا بعض كبار المدرسين الذين كانوا لا يهتمون أيضاً إلا بكتب الفقه والتفاسير، أما بقية كتب الأدب والحكمة والشعر والرياضة والفلسفة والمنطق، فكانت فى نظرهم

أضاليل وتخرصات ، وهي اليوم لا تقدر بثمن ، ومرجع وثيق لفطاحل مؤلفي الغرب والشرق .

* * *

حين رجع إدوار بوكوك إلى وطنه رجع مزهوا بعمله وبما حمله من كنوز ، وقد استقبلته لندن كرجل مغامر ، والسفر إلى الشرق في تلك الظروف لون من المغامرة ، فما كاد يستقر به المقام وينفض عنه أعباء السفر ، ويعرض هذه الكنوز التي حملها معه على زملائه وأساتذته حتى أخذت شهرته تستفيض ، وإذ كان من خريجي اكسفورد ، ومن حملة شهادة الماجسترا فقد أسند إليه في ١٠ آب سنة ١٦٣٦م المنبر الجديد لأستاذية اللغة العربية ، فحاضر في الأدب والنحو ، وكانت أولى محاضراته عن بلاغة الإمام علي وكلماته ، وقد طبعت هذه المحاضرة سنة ١٦٦١ م ، وأقبل على محاضراته لا طلاب الجامعة فقط بل أكثر المتخرجين من الجامعة ، وبالأخص زملاؤه في التدريس .

وفي ختام السنة الدراسية قام برحلة ثانية إلى الشرق مع وليم جريفستر المستشرق البريطاني المختص بشئون الفلك ، والذي كان يجيد العربية والفارسية معاً .

وقد سافرا إلى تركيا ، وأقاما في استانبول حتى سنة ١٦٤٠ م ، وكان لابد لإدوار بوكوك ، وقد وصل إلى الشرق من زيارة حلب التي كان لها أثر غير قليل في تكوين شخصيته الأدبية ، وربما كانت حلب ، هي قصده من هذه الرحلة ، و « مخطوطاتها » هي السبيل ! واستطاع في هذه الرحلة أيضاً ، أن يجمع أنفس المخطوطات وأندرها ، ويعود إلى وطنه لينصرف إلى البحث العلمي و نشر المخطوطات ، فنشر كتاب « الحضارة العربية » وهو مقتبس من كتاب « مختصر الدول » لأبي الفرج ابن العبري ، وقد صدر سنة ١٦٤٩ م ،

وكتاب « المختار من تاريخ العرب » الذى يعتبر أول نص عربى طبع فى اكسفورد ، وقد عرض فى هذا الكتاب إلى نشأة العرب وعاداتهم وآدابهم ودياناتهم ، وكتاب « مختصر التاريخ العام » لابن البطريق سنة ١٦٥٨ م ، وترجمة « معجم الأمثال للميدانى » ، ولامية العجم ، وهى دراسة نقدية لقصيدة الطغرائى ، تصحبها ترجمة وتفاسير وافية ، وقد طبعت سنة ١٦٦١ م ، ومقالة عن مزايا القهوة من كتاب طب عربى ، نشرت سنة ١٦٥٩ م[1] .

وغير إدوار يوكوك كثيرون . ولا شك أن رحلة يوكوك أثارت الكثيرين من المستشرقين منذ تلك الفترة إلى بداية القرن العشرين فكانت حلب من المدن التى غزوها وامتدت أيديهم إلى مخطوطاتها .

* * *

كتب إلىّ المرحوم الأمير مصطفى الشهابى قبل بضع سنوات ، أن أبحث له عن كتاب « النبات » لأبى حنيفة الدينورى — وهو من مخطوطات المكتبة الأحمدية — وأقوم بهذه المهمة بكثير من الارتياح ، وأراجع فهرس المكتبة فأجد الكتاب مدوناً ، وأطلبه فلا أجده ، وأفهم من الثقات أن أحد المتولين على وقف الحلبي قد باعه إلى مستشرق هولندى بثمن بخس — بليرة عثمانية ، ويقدر الخبراء ثمنه بأكثر من أربعمائة ليرة عثمانية ذهباً ، لأن الكتاب بخط المؤلف ، ومصوّره ، فما من زهرة أو نبتة إلا وقد رسمت بلونها الطبيعى .

والدينورى (. . . — ٢٨٢ هـ) كما يقول ياقوت عنه — من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له فى كل فن ساق وقدم ،

(١) من قصص الصلات بين الشرق والغرب : بحث لسامى الكيلانى فى كتابه « من خيوط الحياة . . » « المستشرقون البريطانيون للدكتور » ا ج . أربرى ، « المستشرقون » لنجيب العقيقى .

ورواه وحكم ، أما كتابه فى « النبات » فكلامه فيه ، فى عروض كلام أبدى بدوى ، وعلى طباع أفصح عربى »[1] .

* * *

هذا ، وقبيل الحرب العالمية الأولى ، وفى سنة ١٩١١ م على الأرجح امتدّت يد الشيخ .... إلى مخطوطات حلب فجمع عدة صناديق ، وبعد أن أصبحت فى حوزته خلال أعوام اتصل بكتبي شهير فى القاهرة يتاجر بالمخطوطات ، وهو حلبي الأصل — فعرض عليه الفهرس ، وبعد أن اطلع عليها اتفقا على السعر ، وتمت الصفقة بمئة ألف قرش ذهباً « = ألف ليرة فرنسية — دفع منها خمسمائة ليرة سلفاً » وكتب بالباقى سفاتج = كمبيالات ...

وشحنت الكتب إلى القاهرة ، وعرضها الكتبي على « الكتبخانة المصرية = دار الكتب اليوم » ، وبعد أن اطلعت الهيئة المكلفة بفحص المخطوطات ، على الفهرس ، قررت ابتياعها بأى ثمن ؛ بالنظر لندرتها ولقيمتها العلمية .

وخلال فتح الصناديق والمباشرة بعملية الاستلام ، لوحظ أن أوراقاً سميكة — من الورق العبيدى — ملصقة على الصفحات الأولى ويُسأل الشيخ صاحب الكتب عن الأمر فيحير جوابا ، ثم يقول : إنها ملصقة لحفظ الكتاب من التلف ! . . وتلاحظ الهيئة أن أكثر من مخطوط بهذا الشكل ، مما أثار ريبتها وشكوكها ! وجاء أحد المختصين بأسفنجة مبلولة وأزال الورقة بحذق ،

---

(١) من قصص الصلات بين الشرق والغرب : بحث لسامى الكيالى فى كتابه « من خيوط الحياة . . » « المستشرقون البريطانيون للدكتور » ا . ج . أربرى ، « المستشرقون » لنجيب العقيقى .

وظهر اسم الكتاب ومؤلفه ، وأنه وقف ، مع تحذير شديد من سرقته أو بيعه ! .

ويفتح كتاب ثان وثالث ورابع ، وإذا كلها من الكتب الموقوفة ! وهنا توقفت دار الكتب عن الشراء ، وقررت أن تخبر السفير التركى بالأمر ، باعتبار أن السرقة من حلب ، وحلب من الممالك العثمانية — فهلع البائع والكتبي الذى دفع نصف ثمنها سلفاً ، وهو مبلغ غير قليل ، فما كان منه إلا أن لجأ إلى صديقه أحمد زكى باشا — شيخ العروبة — وهو سكرتير مجلس النظار ، فتدخل فى الأمر ، وأفهمهم أن الكتبي لا ذنب له ، وأن حجز الكتب خراب بيته ، وبعد مفاوضات طويلة سلمت إليه . وما هى فترات ، وبعد أن خمدت الضجة نقلها الكتبي إلى الإسكندرية حيث عرضها على القومسيون البلدى الذى ابتاعها لمكتبة الإسكندرية بألف ليرة فرنسية ذهباً ، ولا تزال هذه المخطوطات الحلبية فى مكتبة بلدية الإسكندرية .

* * *

وقد ظلت قصة هذه السرقة تردد ، منذ نيف ونصف قرن ، فى البيوتات الحلبية العريقة ، ويتداولها الشيوخ والعلماء الذين لا يزالون يلعنون ذلك الشيخ الذى أقدم على هذه الفعلة الشنعاء ، وقد كان من أمره بعد هذه الفضيحة وبعد أن أصبح مضغة الأفواه — أن هجر المدينة وعاش بقية أيامه فى الأرياف ! .

وأقف عند هذا الحد من روايات المؤرخين والثقات عن مخطوطات حلب ، التى لا يمكن إحصاء عددها الوفير ، فمنذ عهد الأمير الحمدانى الذى قدرت

مكتبته التى وقفها بعشرة آلاف مخطوط ، إلى كتب جهابذة اللغة والأدب والشعر وأساطين العلماء والفلاسفة وغيرهم من رجال الفكر الذين عاشوا فى ظلاله ، إلى المخطوطات التى عدا عليها تيمورلنك ، إلى مكتبة الوزير جمال الدين القفطى التى قدرت بخمسين ألف دينار ، إلى مكتبات ابن الشحنة وابن العديم وابن الخشاب وغيرهم من أصحاب المواهب الذين دونوا وألفوا وكانت لهم مكتباتهم الخاصة والذين عاشوا فى مملكة حلب على مرّ العصور ، إلى المخطوطات التى امتدت إليها الأيدى العابثة من المستشرقين ومن غير المستشرقين — نعم ، لا يمكن إحصاء عددها الوفير ، ولا علينا أن نفترض — ولا مجال للمبالغة ، أن عددها قد جاوز المائة ألف مخطوط ، لم يبق منها غير بضعة آلاف ، ذهب أنفسها وأندرها إلى مكتبات لندن وليدن وباريس وبرلين وغيرها من مدن الشرق والغرب .

* * *

وبعد فأشعر أن الحديث لم ينته ، وسأعقبه بحديث آخر عن المخطوطات الباقية ، والتى هى الآن فى حوزة مكتبة الأوقاف الإسلامية ، وتضمّ على قلتها الكثير من النفائس . .

التعريف بالمخطوطات

تسمية أزواج النبي (ص) وأولاده

لأبي عبيدة معمر بن المثنى

تحقيق : الدكتور نهاد الموسى

بين يدى النشرة

أولا : مكتبة أبي عبيدة :

أبو عبيدة ثالث اثنين هما الأصمعى وأبو زيد ، من أعلام القرن الثانى الهجرىّ ... يمثلون كالصوى الخفّاقة فى بيئة البصرة العلمية ، ويمثّلون ملامح ثقافتها الكليّة . . . فى علوم العربية !

ويحوز أبو عبيدة من بينهم قصب السبق فى كثرة التأليف ، وبعد مرامى التصنيف . . . حتى ليصحّ القول : أنّه « معلمة » القرن الثانى الهجرى فى آفاق الثقافة اللغوية . . . والعامّة . . .

ويتناقل أصحاب التراجم والطبقات أنّ مؤلفاته بلغت المائتين(١) ويلتقون على تعداد نصيب وافر منها يبلغون به مائة ونيّفاً من المصنّفات !

وأكبر الظن أن مؤلفاته كاملة كانت معروفة مسمّاة لدى أصحاب التراجم ، حتى القرن السابع ! فقد أحصى ابن خلّكان المتوفى (٦٨١ هـ) عديداً من مصنّفاته التى قال : إنّها تقارب المائتين . . . وأتبع ما أحصى بقوله

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٩/١٦٢ وابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٣٢٦

«... وغير ذلك من الكتب النافعة ولولا خوف الإطالة لذكرت جميعها[1]».

بيد أنّ الذى بلغنا من هذه المؤلفات، وتيسر له النشر، قليل لا يتجاوز ثلاثة[2] من مائتى مؤلف!

ولذا فما تزال صورة أبى عبيدة العلمية مغيّبة عن الذين يرجون أن يتلمسوها فيما صنّف... إلاّ بالقدر الذى تسعف فيه هذه القلة القليلة من مصنفاته التى سلمت لنا أو سلمت للنشر... وتلك النتف المتناثرة المنساحة فى أطواء كتب التراث تتفشّى فيها تفشّيا متوافراً لا ينحصر.

ومن الحقّ أنّ هذه النتف المتناثرة المنساحة قد تنفع فى تكوين صور كلّية أو جزئية عن مصنفات من مؤلفات أبى عبيدة التى لم تبلغنا... إذا فُرِّغَ لها جهد جاهد مستوعب يستغرق الشطر الأكبر من مادّة «التراث» ويعمل على تخريج «نصوص أبى عبيدة وتحقيقها من أطواء هذه المادة... ثم يصنفها ويجمعها فى أضاميم كل تنتسب إلى كتاب له مذكور.. أو مقدّر... فإنه ليس كل مؤلفاته مذكوراً... والأمل الكبير أن تتكشف الأيام المقبلة عن هذه الحتمية[3] وإنّ لها مثالا فيما بين أيدينا، اليوم من هذا الكتاب.

(١) الوفيات ٤/٣٢٦

(٢) وهذا بيانها مرتبة حسب تواريخ النشر: ١ — الخيل، طبع فى حيدر آباد ١٣٥٨هـ بتحقيق المستشرق كرنكو. ٢ — مجاز القرآن، نشر فى القاهرة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ بتحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين. ٣ — العقفة والبررة، نشر فى نوادر المخطوطات (المجموعة السابعة... القاهرة ١٣٧٤ — ١٩٥٥) بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون. أما كتاب «النقائض بين جرير والفرزدق» الذى حققه بيفان وطبع فى ليدن ١٩٠٥ فليس خالصا لأبى عبيدة — فيما نرى — وإن يكن فيه شطر كبير من رواية أبى عبيدة وشرحه نصّ عليه صراحة، وهو الشطر الذى نطمئن أنّه لأبى عبيدة.

(٣) فنقف على مؤلفات للرجل مما أغفل أصحاب التراجم والطبقات ذكره.

ولكن هذه الأضاميم تخرّج من هذه النتف، مهما يبلغ الجهد فى استقصائها وتحقيقها، ليست تغني غناء النصوص الكاملة لمؤلّفات الرجل فى تمثيل صورته العلمية بأبعادها الحقيقية، ووصف طريقته فى الثقافة اللغوية ... هذه الطريقة التى تمثّل صفحة ناصعة فى تاريخ هذه الثقافة، فى القرن الثانى، وتفسّر هذا الاتجاه الثقافى الموسوعى (الأخبارى) وبواعثه تفسيراً شافياً.

وتظلّ مكتبة أبى عبيدة بحاجة إلى نشر النصوص الكاملة لمؤلفاته فهى فيما تقتضى الدراسة العلمية الموضوعية الشاملة، أنفع وأدقّ وأشفى!

ثانياً: نسبة الكتاب إلى أبى عبيدة.

لا يجد الباحث فيما تحصى كتب الطبقات والتراجم والفهارس من تصانيف أبى عبيدة ذكْرَ هذا الكتاب.

لكن إغفال ذكره فى مصنّفات أبى عبيدة لا يَضير نسبته إلى الرجل — فيما أرى — فقد أسلفنا أن كتب الطبقات والتراجم تذكر أنّ له مائتى مصنّف... ثم لا تحصى منها غير مائة ونيف ... بل وجدنا بعضها يُقصِر عن ذكر جميع مؤلفاته خشية الإطالة.

وأوّل اليقين أن هذا الكتاب مما أغفل أصحاب التراجم ذكره بين كثير من كتب الرجل النافعة التى لم يسموها! فان الأثبات التى كانوا يعقبون بها على ترجمتهم لأبى عبيدة... إنما يوردونها للتمثيل على مؤلفاته الكثيرة.. ويصرحون، إذ يعرضون لإحصائها، أنهم يعدّون بعضها أو جانباً منها.. ويظل عدد وافر من مؤلفاته لا يظفر حتى بالذكر والتسمية... ونظن أن هذا العدد الوافر غير المسمى مظنة يرد إليها كل مؤلَّف للرجل تنكشف عنه الأيام ولم يذكره أصحاب التراجم، شأن هذا الكتاب.

وأبو عبيدة صاحب التصانيف الكثيرة رجل ذو شخصية موسوعية . وتدل التصانيف المعينة التي تذكرها له كتب الطبقات والتراجم على حقيقة قوية بينة ، تلك أن الرجل لم يحده لون من ألوان التخصص ولم يقصر على ميدان بعينه من ميادين الثقافة ، إنما يحيط بألوان الثقافة ويضطرب في ميادين التخصص جميعاً ، يملي في أيام العرب ويروي شعرهم ويصطنع الشرح اللغوي ، ويذهب في النحو مذاهب يخالف بها النحويين ويؤلف في تاريخ الجاهلية والإسلام ، ويقف إلى تفاصيل من أخبار قبائلهم وشعرائهم ، ويعمل على تفسير القرآن ، ويسبق إلى التأليف في غريب الحديث ، وكأنما أفرغ في محفوظه علم القرن الثاني وثقافته العربية ، فكان أكمل القوم وأوعبهم ، يعدّ مع أصحاب كلّ علم وفنّ ، وهو مع ذلك متخصص عميق التخصص في هذه العلوم والفنون جميعاً يحسب من يفتشه عن أيّ منها أنه لا يحسن غيره ، لسعة إحاطته وعمق معرفته بكلّ العلوم والفنون !

وكان الحديث ، وهذا الكتاب شيء منه وأمر من أمره ، علماً من العلوم التي أحاط بها ، بل هو فيما يحكي ابن الأثير في مقدمة النهاية أول المؤلفين في غريبه ، ونحن هنا لا نعتد بهذه الأولية إنما نستدل بما يحكيه ابن الأثير على اشتغال الرجل بالحديث ، ثم هو قد روى الحديث وأسنده إلى هشام[1] ابن عروة كما روى عن عبد الوهاب الثقفي عن يحيى بن سعيد[2] وهو يسند

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق (المخطوط بدار الكتب الظاهرية) ٢٢/١٧ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٤٦/١٠ وابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٢٣/٤ .

(٢) انظر أوائل كتاب الحيل لأبي عبيدة وخاصة ص ٦ .

إلى هشام بن عروة ويسند إلى عبد الوهاب فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا ينضاف إلى هذا أن كتب رجال الحديث تصفه بالصدوق وأنه كان من أثبت الناس[1] .

ليس من المستغرب أن يكون أبو عبيدة مؤلفا فى أزواج النبي ﷺ وأولاده إذا كان هذا شأنه فى الحديث ، وإذا كان ذلك شأنه فى سعة الإحاطة والكمال والموسوعية .

ويقع لنا فى ثبت مؤلفات أبى عبيدة كتاب فى « تسمية من قتلت بنو أسد[2] » ونحسب أن عنوان الكتاب الذى يماثل عنوان هذا الكتاب في « تسمية أزواج النبى ﷺ وأولاده » بينة أخرى توثق نسبة الكتاب إليه ، وتتسق مع هذه الموسوعية التى كان يتسم بها أبو عبيدة وما كان يقصد معها إلى حصر الموضوعات بصورة مركزة وجيزة .

ونسبة الكتاب إلى أبى عبيدة على صفحة العنوان وفى قرارة الإسناد صريحة صريحة ، وقد رواه عنه أبو محمد عبد الله بن الفضل بن منجوف السدوسى وهو أحد من ذكر ابن النديم[3] أنهم رووا عن أبى عبيدة . ثم إن الذين رووا هذا الكتاب بإسناده الصريح إلى أبى عبيدة كلهم من العلماء الثقات . . . الجلة الأثبات[4] . . . وبينهم ابن السراج (عالى الطبقة

---

(١) ابن حجر : تقريب التهذيب ٥٠٢ وتهذيب التهذيب ١٠/٢٤٨ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٥٤ وابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ (المخطوط بدار الكتب الظاهرية) ٣/٢٥٧ و .

(٣) الفهرست (تصوير مكتبة خياط) ص ١٠٩ .

(٤) انظر حواشى هذه النشرة على إسناد رواية الكتاب فى الصفحات الثلاثة الأولى .

في الحديث)[1] والحافظ السلفى العالم المتقن المتثبت[2] ، وأبو الحسين ابن سمعون الزاهد الواعظ « الناطق بالحكمة »[3] ، وهو إسناد متسق متوافق فى إشارته الزمانية والمكانية مع تواريخ هؤلاء الرجال ووقائع حيواتهم[4] ، ثم هو إسناد موثق صحيح لم يداخله أيا منهم فيه ريب وهم من هم فى التثبت والتحرى ، والكتاب فى تسمية أزواج النبى ﷺ وذلك أمر من أمر سيرته ﷺ والأمر دين .

ولعل هذا الإسناد العالى المتصل إلى أبى عبيدة أن يكون وحده دون ما سبقه ، وما يتلوه ، كافياً فى توثيق نسبة الكتاب إلى الرجل وتوكيدها .

ولكن دليلا آخر لايقل عن هذا الدليل قوة فى تصحيح نسبة الكتاب للرجل ، ذلك أن مادة الكتاب تدور فى تواليف من أعقبوا أبا عبيدة من مؤلفى السير والتواريخ منسوبة إلى أبى عبيدة صراحة . . . مطابقة لما فى الكتاب الذى بين أيدينا مضموناً وشكلا .

وقد حرصت أن أتعقب المقبوسات من الكتاب فى تآليف التاريخ والطبقات مما أعقبه ، ورصدت قدراً كبيراً بإشارتى إليه فى حواشى نشرتى للنص ، ومع هذا فإنى أوثر أن أعود إلى فضل بيان فى هذا الأمر لاتكثراً

---

(١) انظر : بغية الوعاة ٢١١ .

(٢) انظر : شذرات الذهب ٤/ ٢٥٥ — والأعلام ١/٢٠٩ .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ١/٢٧٤ وما بعدها .

(٤) أرصد هذا التوافق والانسجام بملاحظة التراجم الوجيزة لهم فى حواشى النشرة من حيث تواريخ وفياتهم وتوثيقهم وعلاقات الرواية والتلمذة فيما بينهم وإن شئت المزيد من التثبت فى هذه السبيل فتعقبه فى مصادر الحواشى المشار إليها .

ولا تزيّداً ، وإنما قصداً خالصاً إلى هذا التوثيق الذى أنا شديد الاطمئنان إليه فى نسبة الكتاب للرجل . . .

يذهب أبو عبيدة إلى أنّ جملة من تزوج ثمانى عشرة امرأة وقد روى هذا عنه ابن كثير[1] .

ونقل عن أبى عبيدة تواريخه فى : وفاة خديجة ، وزواج النبى من سودة وزواجه من عائشة ، وزواجه من حفصة ، وزواجه من زينب بنت جحش ، وزواجه من أمّ حبيبة ، بصورة مطابقة لما نجد فى هذا الكتاب : ابنُ عبد البر وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن سيّد الناس ، وابن حجر .

بل نجد ابن عبد البر ينقل عنه معظم خبر ميمونة . . . وصفيّة ... وسناء السلمية بصورة مطابقة أو مقاربة[2] ! . . .

وفى مقبوسات كثيرة ... منقولة عن أبى عبيدة ... نلقى الإشارة صريحة إلى الكتاب باسمه على نحو لا يحتمل شكًا ولا يعتريه لبس .. ومادة هذه المقبوسات ماثلة فى الكتاب ... ويبدو أنّها بَعْضُ ما انفرد بروايته أبو عبيدة .

يقول ابن الأثير فى ترجمة « هند بنت يزيد بن البرصاء من بنى أبى بكر ابن كلاب » : « هكذا ذكرها أبو عبيدة فى أزواج النبي صلى الله عليه وسلّم[3] ».

---

(١) البداية والنهاية ٥/٢٩٨ .
(٢) انظر الاستيعاب ٤/١٨٦٥ ، ١٨٧١ .... وقارن بنصّ الكتاب !
(٣) أسد الغابة ٥/٥٦٤ .

وكذلك لا يزيد ابن حجر إذ يترجم لها قائلا : « هند بنت زيد الكلابية المعروفة بابنة البرصاء . سمّاها أبو عبيدة وذكرها فيمن تزوّجها النبيّ صلى الله عليه وسلّم[1] » .

وكلّ الذى أورده ابن حجر فى ترجمة فاطمة بنت شريح هو : « فاطمة بنت شريح الكلابية ، نقل ابن بشكوال عن أبى عبيدة أنّه ذكرها فى زوجات النبيّ صلى الله عليه وسلّم[2] » .

وقال ابن سيّد الناس فيها : « فاطمة بنت شريح ، قال ابن الأمين ، ذكرها أبو عبيدة فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم »[3] .

وجدير بالالتفات أن طبيعة هذه المقبوسات تكوّن دليلا آخر على صحة نسبة الكتاب إلى الرجل ، فإن هذه المقبوسات ، وإن تكن فى بعض الحين نقلا وافياً لفقرات برمّتها عن الرجل فى كتابه هذا ، تتركّز فى نقل التواريخ المتصلة بتزويج النبي من نسائه ، وتسميات هؤلاء الأزواج وبخاصة أولئك اللواتى يُختَلف فى أمرهن وأسمائهنّ .

وظاهر أن السمة القوية لهذا الكتاب تتمثّل فى القصد إلى تحقيق التواريخ ، وتعيين الأسماء ، بأكثر مما تقصد إلى استيعاب الأخبار والإحاطة فى روايتها ، ومن هنا فإن طبيعة المقبوسات تماثل طبيعة الكتاب وتلتقى معه فى روح منهجه !

---

(١) الإصابة ٤/٤١١ ... وانظر ما داخل اسمها من التغيير على أن المصدر واحد ولعله يشير إلى تعدد نسخ الكتاب كما نرى .

(٢) الإصابة ٤/٣٧٠ .

(٣) عيون الأثر ٢/٣١٠ .

وأكبر الظن أن أبا عبيدة إنّما قصد إلى التأليف فى هذا الموضوع لما رآه موضوعاً مختلفاً فيه ... وما أكثر الخلاف بين أصحاب السير والطبقات فى تسمية أزواج من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ... وما أوسع التباين بينهم فى التواريخ المتصلة بزواجه منهن .. ومن هنا كان وكد الرجل إلى التحقيق ... فى هذا الشأن ... والترجيح الذى ينتهى به إلى آراء خاصة فى شأن التسميات والتواريخ تناقلها عنه أصحاب التراجم والسير والتاريخ .

ويستثير هذا الدليل دليلا منهجياً آخر .. فإن أبا عبيدة الرواية — فيما تبين لنا — ينحو نحواً من الاجتهاد يجعله لا يستسلم لمادة الرواية بين يديه ... بل ينظر فيها ويمعن النظر ... ثم يتخذ لنفسه موقف القبول... أو الترجيح بين الروايات .. ويبلغ به الأمر أن يرفض ما لا يطمئنّ إليه .. وهو يلجأ إلى الاستدلال على ما يعتقده صواباً ... ويتّخذ ثقافته اللغوية ... ويتخذ معارضة الوقائع ومحاكمتها عمدة فى المناقشة والاستدلال والترجيح بين الروايات والآراء !

ومنهج الراوية المجتهد هذا هو أصل الكتاب فيما نحسب ... والنظر إلى مضمون هذا الكتاب فى إطار التواليف الأخرى حوله يؤكّد هذه الحقيقة ... فإن من يقرأ حديث أزواج النبى فى تواليف الذين سبقوا أبا عبيدة وأعقبوه من أصحاب السير والتراجم يكتشف هذا المنهج الاستقلالى الاجتهادى لأبى عبيدة الراوية .

ومنهج أبى عبيدة الراوية المتثبت الذى ينظر فى الراويات نظرة إمعان واستيثاق ويحاكمها على ضوء ثقافته اللغوية .. وعلى أساس من معارضة الوقائع

التاريخية ومحاكمها ، واضح ثابت فى الكتاب[1] .

وهناك دليل نحوىّ ، من داخل الكتاب ، يقوم حجة توثيق أخرى — فيما أحسب — تؤكد أن الكتاب لأبى عبيدة .

وهذه الحجة تمثل فى رواية أبى عبيدة قول النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة : « أما إنّى لا أنقصك مما أعطيت أختك فلانة شيئاً : جرّتين ورحاتين ووسادة من أدم حشوها ليف » ... فإن هذا المثنى (رحاتين) مفرده رحاة ... والمفرد الذى تعرفه المعاجم هو رحى .. والتثنية الشائعة ، فى معاجم اللغة ، هى على (رحيان ، رحيين ، رحوان ، رحوين) ... والتثنية التى تتناقلها كتب الطبقات فى رواية هذا الحديث هى على (رحيين) ... وكل ذلك على أن المفرد رحى ... أما إيراده على رحاة وتثنيته على (رحاتين) فهو مذهب أبى عبيدة فى تجويزه دخول تاء التأنيث على ألفه المقصورة خلافاً للنحويين[2] ...

ومع الاطمئنان الثابت إلى صحة نسبة الكتاب إلى الرجل ، هذا الاطمئنان الذى يستند إلى الأدلة الوثيقة البيِّنة التى سلفت ، أجد أمانة البحث تقتضينى أن أسجِّل إحساساً خلّفته فى نفسى متابعة مقبوسات المؤلفات اللاحقة من كتاب أبى عبيدة هذا . فإننى أحسب أنّه كان لهذا الكتاب غير نسخة .. وأن بعض نسخه كان فى الأندلس ، وعنها نقل ابن عبد البر وابن

(١) انظر ، على سبيل التمثيل ، تدليله على أن عبد مناف ولد فى الجاهلية... وعلى توقيت زواج النبي من حفصة . .

(٢) انظر مجالس العلماء للزجاجى ص ٥١ والخصائص لابن جنى طبعة دار الكتب ٣/٣٠٩ .

الأمين وابن بشكوال . وعلى أن النسخة التى بين أيدينا فيما يدلّ إسنادها وتداولها وخطها مشرقية إلاّ أن المرجّح وجود نسخة أخرى ، على الأقل ، من هذا الكتاب كانت متداولة فى المشرق ... وعنها نقل النووى وابن حجر! والظاهر أن تعدّد النسخ وما تهيّأ لها من سعة التناقل والرواية أوجد بينها فروقاً قليلة طفيفة ... لكنّها لم تَضِر أصل المضمون فى شىء ...

فالتفصيل الأزيد الذى نجده لدى ابن عبد البر فى خبر ميمونة هو فضل بيان للأنساب وتوضيح العلائق الاجتماعية بين شخوص الرواية ... ولكن أصل المضمون متفق بين ما يروى ابن عبد البر عن أبى عبيدة فى خبر ميمونة وما نجده فى متن هذا الكتاب ...

وكذا نجد توفية تفصيلية فى حديث صفية أوردها النووى نقلا عن أبى عبيدة ، تلك : أنها ماتت سنة خمسين ... وتاريخ وفاتها هذا ليس فى الأصل المخطوط بين أيدينا .

كما نجد ابن حجر ينقل فى خبر سناء السلمية عن أبى عبيدة قوله : وهى عمّة عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت أمير خراسان ... وهذه القرابة لم تثبت فى نصّ النسخة التى ننشرها .

ثالثاً — هذه النسخة المخطوطة وعملى فى نشرها :

الأصل المخطوط الذى أنشره لكتاب تسمية أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) وأولاده موجود بدار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٤٥١٤ — عام .

وهى نسخة كاملة فيما ينبئ مبدؤها ومنتهاها ...

فعلى الصفحة الأولى نجد عنوانها على هذا النحو :

الجزء فيه

تسمية أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأولاده

تصنيف أبى عبيدة معمر بن المثنى

من رواية أبى عبد الله الحسين بن عمر بن العلاّف وأبى الحسن على بن ابراهيم المالكى جميعاً عن محمد بن أحمد بن اسماعيل بن سمعون المذكور[1]، وعنهما[2] الشيخ الإمام الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد بن محمد السلَفى الأصبهانى رضى الله عنه.

ونجد أسفل هذا بخط ابن المحبّ ... ثبت السند الذى استقى عن طريقه عِلمَ النسخة وروايتها.

وسند ابن المحب، فى رواية الكتاب، يلتقى مع السند الوارد فى متن هذا الكتاب عند أبى الفضل أحمد بن عبد الله بن سليمان الورّاق ويتخذ بعد الورّاق طريقا مختلفا لإسناد يتصاعد متصلا إلى ابن المحبّ ... ولعلّ فى هذا دليلا على ما أسلفنا من القول بسعة رواية الكتاب وتعدّد نسخه فى المشرق والأندلس!

ويبدو لنا أنّ ابن المحب هذا هو آخر من انتهى إليه علم النسخة وتملّكها ... وقد كتب ثبت سنده فى تحصيلها بالغريّة من أعمال حوران سنة تسع وخمسين وسبعمائة ... ثم حملها إلى دمشق حيث مات بسفح قاسيون ... ولعلّ هذا يفسّر لنا كيف استقرّت النوى بهذه النسخة فى دمشق وكيف آلت إلى دار الكتب الظاهرية.

---

(١) مذكور فى ظهر الورقة الأولى.

(٢) بتقدير «رواية» قبل الشيخ.

ونظنّ ظنا أن إطلاقَ اسمِ الجزءِ عليها أمرٌ من أمْرِ عصرٍ صار يعرف أمثال هذه الرسائل بالأجزاء . . . أو يجعلها فى أجزاء من مجلدات تضمّ عددا من مثل هذه الرسائل فى كلّ منها . . . وقال ابن الجزرى فى محمد بن عبد الله ابن أحمد بن المحب أستاذه صاحب النسخة الذى انتهى إليه علمها وتملّكها أنّه : « سمع مالا يحدّ ولا يوصف من الكتب والأجزاء . . . وانتهى إليه الحفظُ فى زمانه رجالا ومتنا ومعرفةُ الأجزاء ورواتها »[1] .

وعلى الصفحة الأخيرة يطالعنا :

« آخر الجزء

والحمد لله وحده وصلواته على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وغفر الله لمن كتبه ولمن قرأه ولجميع المسلمين » .

ولسنا نجد اسم كاتب هذه النسخة . . .

والذى نجده على صفحة العنوان ، مما كتب ابن المحبّ سنة ٧٥٩ هو تاريخ قراءته إيّاها . . . على حين كانت مكتوبة قبل ذلك بزمن فيما تدلّ صفحة الإسناد التالية لصفحة العنوان . . .

وفى صفحة الإسناد نجد أن تاريخ المخطوطة يعود إلى سنة ٦٥١ وهى آخر تواريخ تناقلها . . . ولعلّها كتبت بعد هذا التاريخ بزمن قصير .

والمخطوطة فى عشر ورقات من القطع الصغير قياسها ١٨ × ١٣ سم . وخطّها نسخىّ معتاد قديم . . . مهمل فى كثير من الكلم . . . خال من الشكل والضبط إلاّ فى بعض الكلمات القليلة . . .

وجدير بالإشارة أنّ الشكل والضبط على قلّتهما يداخلهما الخطأ فى بعض المواطن وقد أشرت إلى مواضع من مواضع هذا الخطأ فى نشرتى للنصّ ا

(١) انظر فى ترجمة ابن المحب : غاية النهاية ٢/١٧٤ — ١٧٥ .

أما السطور فهى سبعة عشر فى الصفحة ٩، وخمسة عشر فى الصفحة ١١ وفى سائر الصفحات تسعة عشر سطرا .

وقد تخرّمت الأرضة أبعاضا صغيرة من صفحات المخطوطة ... لكن ذلك لم يَضِر صورة الكتابة فيها إلا فى كلمات معدودات !!

ومهما يكن من الأمر فإن النسخة بيّنة الكتابة ... مقروءة ... لكن ناسخها على وضوح خطّه وبيانه قد أسقط أثناء الكتابة كلمات قدّرتها ونبّهت عليها فى حواشى نشرتى هذه . وهى كلمات متعيّنة لا تحتمل غير وجه واحد بدليل من السياق النصى . ولقد ميزت ما قدّرت أنّه سقط من أصل المخطوطة بوضع اللفظة المقدرة بين قوسين معقفين هكذا [ ] .

ولعلّ من النافع أن أشير إلى منهج الناقل أو الناسخ فى الكتابة فإنّه على ما أسلفت من سلامة خطّه وبيانه قد يسقط أبعاضا من الكلمات فيكتب جويرية : جويرة ... ولا يلزم نهجا واحدا فيما يكتب فهو حينا يظهر الألف فى ثلاث والسلام خطا وحينا يلغيها : ثلث ... السلم ، بل هو فى بعض الحين يلغى ألف « يا » النداء ... فيكتب يرسول بدلا من يا رسول برغم أنّه فى مواطن أخرى يكتبها على الوجه : يا رسول ... يا نبىّ ... وحينا يثبت ألف هؤلاء ... كما يسقط ألف ابن ، حينا ، حيث يجب أن تثبت ... الخ

ولكن أمرين آخرين التزمهما عند الكتابة لم يخالف عنهما : هما قصر الألف الممدودة وتسهيل الهمزة ...

وقد آثرت أن أثبت ما قصره على أصله من المدّ ... فهو الأفصح فيما تشهد نصوص اللغة الموثّقة وأصولها المعتمدة !

أما تسهيل الهمزة فعلى أنّى أحسبه صورة من تأثر أبى عبيدة بولائه

إذ هو مولى تيم قريش . . . ومشهور ما يؤثر عن قريش فى تسهيل الهمزة . . . إلاّ أننى آثرت أن أحقّق الهمزة وأختار النبر وهو الظاهرة اللهجية التى اصطناها أعلام اللغة والنحو من لهجة تميم وقدّموها على طريقة قريش فى نطق الهمزة بالتسهيل .

وقد جهدت أن أخرّج من المخطوطة أقرب صورها إلى الحقّ وأشبهها به . . . تتبّعت نصّها . معرّفا برجال سنده . . معينا ما خالطه من الشكل الخاطىء والسقط القليل . . . متثبتا من صحة الأنساب الواردة . . منبّها على وجوه مخالفتها عن المأثور فى النسب حين تقع مخالفة !

وعملت على التحقق من توجيه النصوص المهمَلة الملبسة بمعارضتها على الأمهات من كتب السيرة والتاريخ والأنساب واللغة حريصا فى ذلك كلّه على وصف الأصل عندما يعرض لى وجه من الترجيح أو التصويب . . . فصورة الأصل بكلّ ما فيها من الدلالة بيّنة بين يدى القارئ . . . وعملى فى الوصول بالنصّ إلى صورة الحقّ المصحّحة بين محدّد متعين أرصده خطوة خطوة فيما يرى القارئ بأمّ عينه .

وقد عرّفت بالأماكن الواردة فى النصّ تعريفا وجيزا . . وعينت للآيات الواردة فيه مكانها من السور . . . كما رددت رواياته إلى مظانها قبل أبى عبيدة وبعده .

وآثرت أن أحيل القارئ عندما يعرض موضوع من موضوعات الكتاب إلى مصادر الموضوع لتكون هذه النشرة فهرسا أو ما يشبهه فى دراسة مسائل الكتاب وموضوعاته وقضاياه . . . ولأضع كلّ مسألة فى مكانها من المصادر السابقة واللاحقة .

وإذ وجدت أنّ المسائل التاريخية التى يتناولها الكتاب موضوع اختلاف بين أصحاب السير والطبقات والتاريخ رأيت أن لا أقحم نفسى فى هذا الخلاف . . . برغم ما يجد القارئ من محاولتى إلقاء الأضواء على بعض المسائل المستغربة التى ألفيتها لدى أبى عبيدة .

ثم عمدت إلى تفقير النصّ . . . وإثبات علامات الترقيم فى أماكنها ليكون شكل النصّ أعون على بيان معناه . . . فإنّى أرى الكاتب لا يثبت من ذلك إلاّ علامة نهاية الفقرة وهى دائرة فى وسطها نقطة . . . أو حرف الهاء .

وقد أثبتّ على صفحات هذه النشرة أرقام صفحات المخطوطة فارقا بين وجه الورقة وظهرها بأن رمزت للوجه بحرف « و » وللظهر بحرف « ظ » . . وهكذا . . و ٣ ظ مثلا تأتى فى بداية ظهر الورقة الثالثة . . . و ٤ و تأتى فى مفتتح وجه الورقة الرابعة وتدل عليه . . . وأثبتّ أرقام الصفحات بين قوسين . . . هكذا [ ] .

وأختتم عملى المتواضع فى نشر هذه المخطوطة وأنا أحس أنّ بينها وبين ما أنشد من الكمال مدى بعيدا . . . والكمال لله وحده . . . وحسبى أنّى أخلصت لعملى فيها الجهد والسعى . . ورجائى أن تكون حقّقت بعض ما أمّلت من وراء تحقيقها فى إحياء مكتبة أبى عبيدة ونشرها على الدارسين .

وأسأل الله أن يغفر لى ما قد يكون خالط عملى من سهو أو زلّة فإنّى لم أتحرّ غير الحق . . . والله ولىّ التسديد والهدى .

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلواته على سيدنا محمد نبيه الكريم

أخبرنا الفقيه الإمام العدل شرف الدين أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام التميمي[1] قراءة عليه وأنا أسمع فى يوم الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وستمائة بالإسكندرية المحروسة ،

أخبرنا الشيخ الفقيه الثقة الأمين المحدّث الفاضل أبو محمد عبد الله بن عبد الجبار بن عبد الله العثمانى[2] وفقه الله ونفع به قراءة عليه وأنا أسمع بمدينة قوص[3] حرسها الله يوم الجمعة السادس والعشرين من المحرم سنة أربع عشرة وستمائة قال :

أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام الحافظ شيخ الإسلام أوحد الأنام فريد العصر

---

(١) السفاقسى الأصل ، الإسكندرانى . عاش بين ٥٧٣—٦٥٤ هـ . له ترجمة فى شذرات الذهب ٥ / ٢٦٦ وحسن المحاضرة للسيوطى ١ / ١٧٧ ، ١٧٨ والنجوم الزاهرة ٧/٤٠ .

(٢) الإسكندرانى التاجر المحدّث ، سمع من السّلفى فأكثر ، وتوفى فى ذى الحجة سنة ٦١٤ هـ عن سبعين عاماً . شذرات الذهب ٥/٦٠ .

(٣) قال فيها ياقوت : مدينة كبيرة عظيمة واسعة ، قصبة صعيد مصر . . معجم البلدان (نشر صادر) ٤/٤١٣ .

أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السلفي[1] الأصبهاني رضي الله عنه فيما أجاز لي قراءة عليه وأنا أسمع في يوم السبت الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة قال :

أخبرنا الشيخ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن السرّاج[2] بقراءتي عليه ببغداد من أصل سماعه سنة أربع وتسعين وأربعمائة ،

أنا الشيخان أبو عبد الله الحسين بن عمر بن محمد بن العلّاف المصري[3] وأبو الحسن علي بن إبراهيم المالكي[4] بقراءة والدي عليهما سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة قالا :

أنا أبو الحسين محمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون[5] ، ثنا أبو الفضل

---

(١) رحل يطلب العلم فأكثر من السماع وطوّف بآفاق العالم الإسلامي واستوطن الإسكندرية دهراً ، وبنى له العادل (وزير الظافر العبيدي) بها مدرسة ... ثقة ورع متقن متثبّت .. عمر طويلا وتوفي سنة ٥٧٦ هـ .

شذرات الذهب ٢٥٥/٤ ، والأعلام ٢٠٩/١ .

(٢) القارئ اللغوي ، قال ابن عساكر : كان عالي الطبقة في الحديث والقراءة والنحو واللغة والعروض . ولد سنة سبع عشرة أو أول سنة ثماني عشرة وأربعمائة ببغداد ودخل مكة والشام ومصر ، وعاد . روى عنه السلفي وقال : في شيوخه كثرة توفي في صفر سنة خمسمائة وقيل إحدى وخمسمائة وقيل اثنتين وخمسمائة . بغية الوعاة ٢١١ .

(٣) كان ثقة ، ولد سنة ٣٤١ وتوفي سنة ٤٢٦ هـ . وانظر : تاريخ بغداد ٨٣/٨ .

(٤) لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٥) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون . بغدادي ، زاهد واعظ ، كان يلقب الناطق بالحكمة . ولد سنة ٣٠٠ وتوفي سنة ٣٨٧ هـ . وانظر : تاريخ بغداد ٢٧٤/١ وما بعدها ووفيات الأعيان ٤٣١/٣ — ٤٣٢ ، والأعلام للزركلي ٢٠٤/٦ .

أحمد بن عبد الله بن سليمان بن عيسى الورّاق[1]، ثنا أبو الحسين أحمد ابن محمد بن عبد الله بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي[2] قال:

قرأ علينا أبو محمد عبد الله بن الفضل بن شقيق بن (٢ و) منجوف السدوسي عَبْوِيه[3] قال:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى:

تسمية[4] من تزوّج النبي صلى الله عليه وسلّم في الجاهلية والإسلام،

الأبكار منهن،

والثيبّات[5]

---

(١) روى عنه أبو الحسين بن سمعون .. وكان ثقة. تاريخ بغداد ٢٣٣/٤.

(٢) في تاريخ بغداد ٤٢/٥ — ٤٣: أبو الحسن ... صاحب أخبار وحكايات.. حدّث عنه العباس بن الفرج الرياشي ومحمد بن عبادة الواسطي ... وروى عنه أبو بكر بن الأنباري ومحمد بن يحيي الصولي .. ثقة... توفي سنة ٣٠٧ هـ.

(٣) في الأصل: أبو محمد عبيد الله (بضمّ العين على هيئة التصغير .. وكسر الدال، وهو في الدال خطأ نحوياً)... عبّويه ... بالعين المهملة والباء المشددة ... وفي الفهرست ص ١٠٩ : عبد الله بن الفضل بن سفيان بن منجوف السدوسي ويكنى أبا محمد... أخباري روى عن أبي عبيدة ... وهو في الفهرست غنويه أما عَبْويه وهي صورة أخرى محتملة فتقال في ترخيم اسم مثل عبد الرحمن أو عبد الرحيم ... وانظر اللسان والتاج (عبا).

(٤) في أسماء أزواجه (ﷺ) انظر: السيرة لابن هشام (بتحقيق السقا وآخرين) القسم الثاني ص ٦٤٣ . وفي أسمائهن وعددهن انظر: الطبقات ١٥٩/٨ وما بعدها والاستيعاب ٤٤/١ وما بعدها.

(٥) صورة الكتابة في الأصل، على هيئة الثيائب، وليست صيغة جمع للثيّب في المعاجم التي بين يديّ.

وسنهن ،

وعددهن ،

وتحت مَنْ كُن قبله ،

ومن ولد له منهنّ ،

ومن دخل بها ،

ومن لم يدخل بها ،

ومن طلّق منهن قبل أن يدخل بها ،

ومن طلّق وقد دخل بها ،

ومن طلّق منهنّ ثم راجعها ،

ومن مات منهنّ عنده ،

ومن قبض صلّى الله عليه وسلم وهى عنده ،

ومن تزوّج منهنّ بمكة ،

ومن تزوّج منهنّ بالمدينة وبغيرها من البلدان ،

ومن تزوّج منهنّ من بطون قريش ،

ومن تزوّج من سائر العرب ،

ومن تزوّج من بنى إسرائيل ،

ومن خطب ولم يتزوّجها ،

ومن همّ بتزويجها[1] ولم يخطبها ،

---

(١) كذا فى الأصل ، وتأويله بعيد غير سائغ . . . والأقرب أن يقال : بتزوّجها . فإن قال قائل : لعله قدر أن يكون التعبير : ومن همّ بتزويجها من نفسه أو بأن يزوّجها أحد منه تزويجاً ، قلنا إن الأزهرى فى التهذيب يذهب إلى أن ذلك ليس من كلامهم فليس يصح أن يقال زوّجت منه امرأة . وانظر اللسان (زوج) .

وأوقات تزويجه إياهن ،

ومن اتخذ من السرارى من الإماء[1] .

فجملة من تزوّج النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة امرأة ، منهن سبع من أفخاذ قريش ، وواحدة من حلفاء قريش ، وتسع من سائر قبائل العرب ، وواحدة من بنى إسرائيل من بنى هارون بن عمران ، فذلك سبع عشرة امرأة من قبائل العرب ، وواحدة من بنى إسرائيل ، فجميع ذلك ثمانى عشرة امرأة[2] .

وجملة من اتخذ من الإماء ثلاث[3] ، فاتخذ اثنتين من العجم فولدت له

---

(١) نجد هذا التصنيف ، وفى الحديث عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، بصورة جزئية فى سيرة ابن هشام ٦٤٧/٢ ، ٦٤٨ . وانظر الروض الأنف ٣٦٨/٢ .

(٢) فى الأصل : ثمانية عشرة . وهو خطأ بيّن !

وقد نقل عدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم هذا ، عن أبى عبيدة ، ابن كثير فى البداية والنهاية ٢٩٨/٥ .

(٣) فى الكلام الموسّع اللاحق على كل زوجة يعرض أبوعبيدة لوليدتين اثنتين هما مارية القبطية ، أم ولده إبراهيم ، وريحانة (وقال بعضهم رُبيحة) ولعله لم يفرد الثالثة بالذكر والبيان فى هذا التأليف لأنه صنّفه فى (تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم) ، والتحقيق فى الوقائع والتواريخ التى لابست زواجه منهن ... وهذه الثالثة غير مسماة !

وحين يروى ابن الجوزى والمحب الطبرى وابن سيّد الناس وابن قيم الجوزية وابن كثير عن أبى عبيدة أنه كانت للنبي أربع ولائد (سرارى) : مارية وهى أم ولده إبراهيم ، وريحانة ، وجارية أخرى جميلة أصابها فى بعض السبى ، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش . . . لا نجد ذلك منافياً لما ورد فى هذا التاليف ، ذلك أن اثنتين من هؤلاء الأربع ، فيما تروى هذه المصادر جميعاً ،=

واحدة منهما ولم تلد الأخرى، وأعتق واحدة من العرب حين همّ أن يبتنى بها.

فأول من تزوج النبي صلى الله عليه وسلم منهن من قريش خديجة[1] بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي[2]، تزوّجها وهو ابن خمس وعشرين سنة. وذلك قبل الوحي إليه بخمس عشرة سنة، لأنه أُوحي إليه وهو ابن أربعين سنة، صلى الله عليه وسلم.

ولم يتزوج فى الجاهلية غير خديجة (٢ ظ) وكانت قبله[3] عند عُتَيّق[4]

= عن أبي عبيدة، لاتسميان... وإذا كان وكد الكتاب هو (التسمية) فلا بأس فى أن تسقط غير المسماة... ثم إن أبا عبيدة يقصد هنا إلى من (اتخذ) النبي من هؤلاء له زوجاً... ولا يفيد نص الرواية، فى المصادر المذكورة جميعاً، هذا المعنى... وإذن لا يكون فى عداد الأزواج وفى نص الكتاب إلا من سمّى أبو عبيدة... ولا تناقض... وانظر: صفة الصفوة ٧٧/١، السمط الثمين ١٣٩، وعيون الأثر ٣١١/٢، وزاد المعاد ٥٨/١ والبداية والنهاية ٣٠٩/٥. بل إنه يستدل بنقول هذه المصادر عن أبي عبيدة على صلته العميقة الواسعة بهذا الموضوع: سيرة النبي، وأزواجه، وإمائه... وأنه لم يكن يفيض بما لديه دون ضابط أو قاعدة، بل يلتزم، إلى حد كبير، بغاية الكتاب ومنحاه!

(١) انظر فى زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة: سيرة ابن هشام ١٨٧/١، ٦٤٣/٢ والمحبر ٧٧، والاستيعاب ١٨١٧/٤، وتهذيب النووى ٢/١/٣٤١ والبداية والنهاية ٢٩٣/٢، وامتاع الأسماع ص ٩، ١٠ وفى ترجمتها انظر: الطبقات ٧/٨ وما بعدها، وأسد الغابة ٤٣٤/٥ والسمط الثمين ١١، وجلاء الأفهام ١٥٤ والإصابة ٢٧٣/٤.

(٢) انظر نسبها وهو مطابق لما هنا: فى سيرة ابن هشام (بهامش الروض الأنف) ١٢١/٢، وجوامع السيرة ٣١.

(٣) هنالك خلاف فى أيهما كانت عنده أولا: عتيّق أم هند؟ وانظر: أسد الغابة ٤٣٤/٥، ٤٣٥. والإصابة ٢٧٣/٤.

(٤) هكذا ضبط فى الأصل. وهو كذلك فى السيرة (لابن هشام) بتحقيق السقا ٦٤٤/٢.

ابن عابد[1] بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ثم خلف عليها بعد عتيق هند بن زرارة بن نبّاش بن حبيب بن صُرَد بن سلامة بن غُوَى بن جرْوَة بن أُسَيِّد[2] ابن عمرو[3] بن تميم ، وكنيته أبو هالة ، فولدت هند بن هند . قال يونس : فرّ هند بالبصرة مجتازا فمات بها فلم تُقِم[4] سوقا ولا كَلاّء[5] ، قالوا : أخو فاطمة .

ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد هند بن زرارة فولدت له

(١) هذا العلم مجرّد ، في الأصل، من الضبط والإعجام . وهو ، على ما أوردنا ، في الطبقات الكبير لابن سعد ١٥٦/٨ ، أما في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٤١ — ٢٤٢ فهو عائذ . وأوردته شتيتر في تحقيقها المحبر على الوجهين (انظر المحبر ص ٧٨ ، ٤٥٢) . وقد فرّق أبو ذر الخشني بينهما تفريقاً دقيقاً فقال : كل ما كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد بالباء والدال المهملة ، وكل ما كان من ولد عمران بن مخزوم فهو عائذ . جوامع السيرة ٣١ حاشية ٥ . فالصواب ما أثبتّ ، وانظر عيون الأثر ٥١ .

(٢) في توجيه الضبط على هذا النحو انظر : ذيل المذيل للطبري ٢٣٥٦/٣ وجمهرة الأنساب ٢١٠ وجوامع السيرة ٣٢ .

(٣) في الأصل : عمر ، والتصويب من ذيل المذيل ٣ / ٢٣٥٦ ، وجمهرة الأنساب ٢١٠ .

(٤) آثرنا هذا الضبط ليستقيم نصب « سوقا » الذى ورد في الأصل المخطوط . وفي رواية الخبر نفسه عن أبي عبيدة في ذيل المذيل ورد الفعل على صورة المضارع المجزوم من قام . . . على هذا النحو : فلم تقدم يومئذ سوق . . وانظر ذيل المذيل ٢٣٥٦/٣ .

(٥) ورد في الأصل مقصوراً ، وقصر الممدود أمر من أمر هذه المخطوطة كما قدمت ، وقد رجحت له المد اعتماداً على الطبري وابن منظور . والكلاّء : مرفأ السفن بالبصرة . وانظر : اللسان (كلأ) وذيل المذيل ٢٣٥٦/٣ .

فى الجاهلية جميع بناته[1] الأربع : زينب ، وهى أكبرهن ، ثم رقيّة ، ثم أم كلثوم ثم فاطمة وهى أصغرهن[2] .

والدليل على وقت تزويجه خديجة ، وعلى أنها ولدت له بناته هؤلاء فى الجاهلية ، أنه زوج زينب أبا العاص بن الربيع من عبد شمس ، فلما أسلمت ولم يسلم منعه النبي صلى الله عليه وسلم منها . ثم هاجرت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يسلم . ثم أسلم فتركهما على نكاحهما . فلو كانت ولدت بعد الوحى لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليزوجها كافراً ، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة بعد هذا الوقت الذى فى صدر الكتاب ما بلغت ابنتها زينب ما بلغ النساء[3] ولا التزويج فى الجاهلية . وكذلك أيضاً تزويجه رقيّة وأمّ كلثوم عتيبة وعتبة ابنى[4] أبي لهب وهما مشركان . فلو كانتا ولدتا فى الإسلام لم يكن ليزوج بناته وهن مسلمات للمشركين .

وكذلك أيضاً ولدت الذكور من (٣ و) أولاد[5] النبي صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية غيرَ القاسم — وبه كان يكنّى — فإنه ولد فى الإسلام ، وعاش حتى مشى ، ثم مات . وولدت فى الجاهلية عبد مناف والطيّب وهو

---

(١) فى ذكر بناته صلى الله عليه وسلم انظر : الطبقات ١١/٨ والمحبر ٥٢، ٥٣ . وانظر لوناً من الخلاف فى الترتيب الزمنى لأعمارهن وترجيح ابن عبد البر ترتيب أبى عبيدة هذا ، دون أن يسمّيه فى الاستيعاب ١/٥٠ .

(٢) انظر : الإصابة ٤/٣٦٥ .

(٣) فى الأصل : ما بلغ النسا . والأقرب : مبلغ .

(٤) فى الأصل : ابن ، وليس يصحّ .

(٥) انظر فى أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة : السيرة لابن هشام (بتحقيق السقا . . .) ١/١٩٠ ، ١٩١ .

عبد الله ، مات رضيعا ، والطاهر[1] . فذلك أربع بنات وأربعة[2] بنين[3] .

والدليل على ذلك أن عبد مناف لو كان ولد فى الإسلام لم يسمّه عبد مناف . والدليـل أيضاً على أن مولدهم فى الجاهلية أن بناتها هؤلاء الأربع أدركن الاسلام وهنّ مدركات فأسلمن ، وأن خديجة قالت : يارسول[4] الله ! أطفالى منك ، أين هم ؟ قال : فى الجنة . قالت : يانبى الله ، بغير عمل ؟ قال : قد علم الله ما كانوا عاملين . فقالت : يا نبى الله ، أطفالى من المشركين : أين هم ؟ قال : فى النار[5] . قالت : يا نبى الله ، بغير عمل ؟ قال : قد علم الله ما كانوا عاملين ، وإن شئت دعوت الله عز وجل فأراكم وأراك منازلهم وأسمعك أصواتهم أو نحو هذا ، فقالت : بل أصدّق الله ورسوله .

فهذا الحديث يدل على أن الذكور غير القاسم ولدوا فى الجاهلية ، ولو كانوا ماتوا فى الإسلام لم تـكن لتسأل النبى صلى الله عليه وسلم : أين هم ؟ ولم تـكن لتسأل عن بناتها هؤلاء وهنّ أحياء[6] .

---

(١) فى المحبّر (٥٣) أنّ عبد الله والطيب والطاهر ولد واحد . وانظر الاستيعاب ٤/١٨١٨ وأسد الغابة ٥ / ٤٣٦ وتهذيب النووى ١/١/٢٦ .

(٢) فى الأصل : أربع ، وهو خطأ بيّن .

(٣) انظر فى أولاد النبى صلى الله عليه وسلم المحبر ٧٩ والروض والسيرة بهامشه ١/١٢٣ وتهذيب النووى ١/١/٢٦ .

(٤) فى الأصل الخطى وصلت الياء بالراء وحذفت الألف من « يا » .

(٥) انظر مسند أحمد الحديث ١١٣١ (بشرح أحمد شاكر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بالقاهرة) .

(٦) فى الأصل : احيا .

ولم تلد له فى شبابه غير خديجة . ولم يتزوج فى الجاهلية غيرها . وهى أول من أسلم من النساء[1] .

ثم ماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بخمس[2] سنين . والدليل على ذلك قول عائشة : ما غرت على[3] امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم (٣ ظ) غيرتى على خديجة ، وقد ماتت قبل أن يتزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث[4] سنين . وكان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة قبل الهجرة بسنتين ، وهى بنت ست سنين ثم بنى بها بالمدينة بعد الهجرة بسنة ، وعائشة بنت تسع سنين .

فهذا الحديث يدل على أن خديجة ماتت قبل الهجرة بخمس سنين .

---

(١) فى الأصل : النسا .

(٢) روى هذا التاريخ لوفاة خديجة ، عن أبى عبيدة ، ابن عبد البر فى الاستيعاب ١٨٢٥/٤ ، ١٨٨٢ وابن الأثير فى أسد الغابة ٤٣٩/٥ .

وانظر فى موتها البداية والنهاية ١٢٧/٣ .

(٣) كذا (غرت على) فى الأصل . . والغيرة على . . . تكون فى معنى غير هذا ، تكون فى غيرة الرجل على امرأته وغيرة المرأة على بعلها (اللسان : غير) أما فى علاقة الضرة وفى الذى يفهم من السياق فهى غيرة منها لا عليها ! ولكن لعل الحديث بهذا النص يشهد بجواز استعمال (غرت على) فى مكان (غرت من) .

(٤) وهذه الرواية فى صحيح البخارى ٢١٦/٢ من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . وقد أخذت بعد هشام طرقا ثلاثا من الإسناد ، وفى متن الطرق الثلاث كلها تأتى العبارة على هذا النحو : ما غرت على امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة . . . ما غرت على أحد من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة . . . ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة . . . .

فتزوّج عليّ بن أبي طالب فاطمة فولدت له حسنـا بعد وقعة أحد [بسنتين][1] . وبين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة [ووقعة أحد][1] سنتان وسبعة أشهر ونصف . فمولده لأربع سنين وسبعة أشهر ونصف من التاريخ . وبين وقعة بدر ووقعة أحد سنة ونصف شهر . ثم ولدت فاطمة حسينا بعد مولد حسن بسنة وعشرة أشهر ، فمولده لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ . ثم قتل يوم عاشوراء[2] لعشر مضين من المحرم ، أوّل سنة إحدى وستين ، وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ونصف سنة ونصف شهر . ثم ولدت[3] أم كلثوم تزوّجها عمر بن الخطاب في خلافته ، فولدت له زيدا فهلكا في ليلة واحدة ، فصلى عليهما سعيد بن العاص عامل معاوية على المدينة فجعل زيدا بينه وبين أمّ كلثوم . وقالوا : قال الحسين بن علي بن أبي طالب ، حين مات زيد وأم كلثوم ، لعبد الله بن عمر : تقـدم فصلّ على أمّك ، وعلى أخيك ، فتقدم فصلّى عليهما .

وتزوج أمّ كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم عتيبة بن عبد العزى

(١) ما بين القوسين المعقفين زيادة قدرناها ليتسق التعبير ويستقيم ويصحّ ، وقد اعتمدت في تقدير هذه الزيادة على مقتضى السياق ومصادر التاريخ . فقد كانت الهجرة في ربيع الأول (الاستيعاب ٤١/١) وكانت غزوة أحد في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة (المغازي) ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ وانظر أيضا عيون الأثر ٢/٢ والبداية والنهاية ٩/٤ والمغازي ٣٦ وما بعدها .

(٢) في الأصل : عاشورا .

(٣) يعني فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم . وانظر في ترجيح قرينة السياق ، هنا ، بأنها فاطمة : المحبّر ٥٣ وجوامع السيرة ٤٠ وأسد الغابة ٦١٤/٥ وتهذيب النووي ٣٥٣/٢/١ والسمط الثمين ١٦٤ .

ابن عبد المطلب (٤ و) ، وبه كان يكنى وبأبى لهب . وتزوّج أخوه عتبة ابن عبد العزى رقيّة بنت النبى صلى الله عليه وسلم . وأمّ عتبة وعتيبة أمّ جميل ابن حرب بن أمية . ولم يكن ابتنى بها . فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فسألت رقية فبُعِث النبيّ صلى الله عليه وسلم أن تُطَلَّق ، فسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم زوجها أن يطلقها . فقالت أمه أمّ جميل ، حمالة الحطب : طلّقها يا بنيّ ، فإنّها قد صبأت . فأنزل الله عزّ وجلّ : (تبّت يدا أبى لهب)[1] . وقال [أبو][2] لهب لابنيه : عتبة وعتيبة : وجهى من وجوهكما حرام إن لم تطلّقا ابنتى محمد ، فطلّقاها .

ثم جاء[3] عتبة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، فقال : كفرت بدينك وفارقت أو طلّقت ابنتك ، لا تحبنى ولا أحبّك . وشق قميص النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم توجّه إلى الشام . فقال النبى صلى الله عليه وسلّم : أما أنّى أسأل الله أن يسلّط عليك كلبه . فلما نزلوا بالزرقاء[4] من بعض بلاد الشام أطاف بهم الأسد ليلا ، فقال عتيبة : يا ويل أمّى ! هو والله آكلى كما دعا محمد علىّ ! أقاتلى ابن أبى كبشة[5] ، وهو بمكة وأنا بالشام ؟ فعدا عليه الأسد فضغم رأسه

---

(١) سورة المسد ، الآية ١ .

(٢) سقطت من الأصل المخطوط كلمة (أبو) .

(٣) فى الأصل : جا .

(٤) فى الأصل : الزرقا .

(٥) ابن أبى كبشة كنية الرسول صلى الله عليه وسلم . انظر : إمتاع الأسماع ١ / ٧٧ ، ١٥٨ وانظر قصة نسبة النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبى كبشة فى المحبرّ ١٢٩ .

فقدعه[1] من بين القوم[2] .

وذكر عن هشام بن عروة[3] عن أبيه عروة بن الزبير أنه لما أطاف بهم الأسد انصرف عنهم ، فأناموا عتيبة فى وسطهم وناموا حوله فتخطاهم الأسد حتى أخذ برأسه فضغمه ضغمة قدعه[4] .

ثم تزوج عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية برقية ، فماتت فدفنت

---

(١) كذا فى الأصل . وفى رواية المحب الطبرى من طريق قتادة : فقدغه (ذخائر العقبى ص ١٦٤) . وهى بالفاء والغين على هذا الوجه فى اللسان (فدغ) ولدى النويرى فى نهاية الأرب ١٨/٢١٥ .

وفدغه أرجح فى هذا السياق إذ الفدغ شدخ شىء أجوف مثل حبة عنب ونحوه كرأسه إذ أخذ به فضغمه أما القدع فهو الكف والكبح أو هو ضرب الأنف أو هو القتل وعلى هذا المعنى الأخير قد تستقيم رواية (قدعه) .

وانظر فى هذا كله اللسان : فدغ ، قدع .

(٢) هذا الحديث بنص مطابق أو مقارب رواه المحب الطبرى عن طريق قتادة فى ذخائر العقبى ص ١٦٤ .

(٣) أخرجه البيهقى عن عروة . انظر حجة الله على العالمين ليوسف النبهانى (طبعة بيروت ١٣١٦ هـ) ص ٥٩٣ .

(٤) فى هامش الأصل المخطوط ، تلا (قدعه) بإشارة إحالة مستدركة موقعة (   ) : قال رحمه الله : الذى أكله الأسد عتيبة ، وكان يكنى أبا واسع . وهو الصواب . وبعد هذا توقيع أظنه لأحد (المقادسة) من أساتذة المدرسة العمرية بسفح قاسيون . وقال الجاحظ : يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعتيبه بن أبى لهب : أكلك كلب الله . ثمار القلوب للثعالبى ص ١٩ . ويؤيد هذا القول بأن عتيبة هو الذى أكله الأسد أن كتب الطبقات والسيرة تحكى أن عتبة أسلم وأنه من الصحابة . وانظر القاسمى (محمد جمال الدين) فى محاسن التأويل ص ٦٢٩٢ .

يوم جاء[1] البشير بفتح بدر إلى المدينة (٤ ظ) وهم على قبرها يدفنونها . وتفسير حديث موتها فى موضع بعد هذا . ولم تلد له . ثم خلف عثمان على أختها أمّ كلثوم فماتت عنده ولم تلد له .

وتزوّج أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلّم فلم يسلم ، فلمّا هاجرت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم أسلم[2] أبو العاص فتركهما النبيّ صلى الله عليه وسلم على نكاحهما . وولدت له أمامة فتزوجها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بعد موت فاطمة فلم تزل عنده حتى قتل عنها[3] .

مضت خديجة

ثم تزوّج النبيّ صلى الله عليه وسلّم بمكة بعد موت خديجة[4] بسنة وذلك قبل الهجرة بأربع سنين ، سودةَ[5] بنت زمعة بن قيس بن الأسود من بنى عامر

---

(١) فى الأصل : جا . وحديث دفنها هذا بنصّه ، دون إسناد ، فى الاستيعاب ٤/١٨٤٠ .

(٢) انظر شطراً من حديث إسلامه فى رواية ابن هشام عن أبى عبيدة فى الروض الأنف ٢/٨٣ .

(٣) انظر جوامع السيرة ٣٩ والروض الأنف ٢/٨٠ .

(٤) روى هذا التاريخ لزواج النبي من سودة ، عن أبى عبيدة ، ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/١٨٦٧ وابن الأثير فى أسد الغابة ٥/ ٤٨٤ ، ٤٨٥ والنووى فى التهذيب ١/٢/٣٤٨ والمحب الطبرى فى السمط الثمين ١٠١ . وانظر البداية والنهاية ٣/١٣٣ .

(٥) انظر فى زواج النبي صلى الله عليه وسلم من سودة السيرة لابن هشام (بتحقيق السقا . .) ٢/٦٤٤ والطبقات ٨/٣٥ وما بعدها ، والمحبّر ٧٩ والاستيعاب ٤/١٨٦٧ وأسد الغابة ٥/٤٨٤ والسمط الثمين ١٠١ وجلاء الأفهام ١٥٥ والبداية والنهاية ٣/١٣٠ والإصابة ٤ / ٢٣١ .

ابن لؤى ، ثم بنى بها بمكة . وكانت قبله عند السكران بن عمر وأخى سهيل ابن عمرو[1] من بنى عامر بن لؤى .

مضت سودة بنت زمعة

ثم تزوج على سودة بمكة عائشة[2] بنت أبى بكر عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة قبل الهجرة بسنتين[3] ، وهى بنت ست سنين يومئذ . ولم يتزوج بكرا غيرها . ثم بنى بها بالمدينة سنة إحدى وهى يومئذ بنت تسع سنين . ثم توفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة[4] سنة ( ) .

---

(١) فى الأصل : سهيل بن عمر . وانظر فى التصويب الذى أثبت جوامع السيرة ١٥٢ والدُرر ٦١ .

(٢) انظر فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم من عائشة : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا..) ٢/٦٤٤ والطبقات ٨/٢٩ ومابعدها والروض الأنف ٢/٣٦٦ . وفى ترجمتها : أسد الغابة ٥/٥٠١ والسمط الثمين ٢٩ وجلاء الأفهام ١٥٦ — ١٥٨ والبداية والنهاية ٣/١٣٠ والإصابة ٤/٣٤٨

(٣) نقل هذا التأريخ لزواج النبى صلى الله عليه وسلم من عائشة ، عن أبى عبيدة ، ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/١٨٨١ وابن الأثير فى أسد الغابة ٥/٥٠١ والنووى فى التهذيب ١/٢/٣٥١ .

(٤) فى الأصل : ثمانية . . وهو خطأ .

(٥) فى عمر عائشة إذ تزوج بها النبى صلى الله عليه وسلم وحين دخل بها ، وعندما توفى عنها . . . رواية مطابقة لما هنا أوردها ابن سعد (الطبقات ٨ / ٤١) من طريق أبى عبيدة ، وأخرى (الطبقات ٨ / ٤٢) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . وأورد البخارى رواية مماثلة ، فى المضمون ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فى صحيحه ٣ / ١٧٨ .

فقالت عائشة : دخل عليّ وإن لى بنات ألعب بهن[1] ، تعنى اللعب .
وزعموا أن جبريل قال له : هذه امرأتك ، قبل أن يتزوّجها ، فتزوّجها[2] .

فهؤلاء ثلاث من قريش تزوّجهن بمكة : خديجة فى الجاهلية ، ثم سودة بعدها فى الإسلام ، ثم عائشة بعد سودة .

مضت عائشة

ثم تزوّج بالمدينة ، قبل وقعة بدر فى سنة اثنتين[3] من التاريخ أمّ سلمة[4] واسمها هند (ه و) بنت أبى أميّة ، زاد الراكب ، بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم[5] . وكانت قبله عند أبى سلمة وهو عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال المخزومى .

وذكر[6] عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن ابن عمر بن أبى سلمة

---

(١) انظر هذه الرواية بطرق مختلفة عن عائشة فى الطبقات ٨/٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ .

(٢) هذا جزء من رواية أوردها ابن سعد عن طريق عائشة فى الطبقات ٨/٤٣ .

(٣) هذا التاريخ لزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم سلمة مروى عن أبى عبيدة فى ذيل المذيل للطبرى ٢٤٤٣ .

(٤) فى زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها انظر : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا . . . .) ٢/ ٦٤٤ ، ٦٤٥ والطبقات ٨/٦٠ وما بعدها والمحبر ٨٣ الاستيعاب ٤/١٩٢٠ .
وأسد الغابة ٥/٥٦٠ والسمط الثمين ٨٦ وجلاء الأفهام ١٦٨ والإصابة ٤/٤٠٧ ، ٤٣٩ .

(٥) انظر فى نسبها جوامع السيرة ٣٣ ، ٥٦ وإمتاع الاسماع ٣٨ .

(٦) هذا الحديث من مبدئه إلى منتهاه ، بالإسناد نفسه ، فى الطبقات ٨/٦٢ ، ٦٣ وبالإسناد نفسه عن أبى سلمة فى مسند أحمد (الطبعة الأولى)٦/٣١٣.

عن أبيه عن أمّ سلمة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أصابت أحدكم مصيبة فَلْيَقُلْ : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، اللهم عندك احتسبت مصيبتى فَأْجُرْنى فيها وأبدلنى منها خيرا .

فلما احتضر أبو سلمة بن عبد الأسد قال : اللهم اخلفنى فى أهلى بخير منّي. فلمّا قُبِض قلت . إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، اللهمّ عندك احتسبت مصيبتى فأجرنى فيها . وكنت إذا أردت أن أقول : اللهمّ أبدلنى بها خيرا منها قلت : ومن خير من أبى سلمة ؟ قالت : فلم أزل حتى قلتها .

فلما انقضت عدّتها خطبها أبو بكر فردّته ، ثم خطبها عمر فردّته . ثم بعث إليها رسول الله صلىّ الله عليه وسلم فخطبها ، فقالت : مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبرسوله . أقرئْ رسول الله السلام وأخبره أنّى امرأة غَيْرى وأنّى مُصْبِيَة ، وأنّه ليس أحد من أوليائى شاهدا . فقال لها رسول الله(١) صلى الله عليه وسلّم : أمّا قولك : إنّك غيرى ، فإنّى سأدعو الله فيذهب غيرتك ، وأمّا قولك : إنّى مصبية فإنّ الله سيكفيك صِبْيانك(٢)

(١) فى الأصل : رسول الله رسول الله . . . .

(٢) فى الأصل : صَبَيَانك بضبطها على هيئة المصدر وهو وجه محتمل بالنظر إلى الدلالة اللغوية لقولها مصبية هذا الوصف الذى يحتمل أنها تصبي كما يحتمل أنها ذات صبية . بل إن نص الرواية عندما يرد على مثل هذا الوجه فى السياق الكلّى ويكون جواب النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله سيكفيك صبيانك يظلّ ملبسا يحتمل الوجهين : أن يكفيها مؤنة الصبية وأن يكفيها صَبَيَانها . . . لكن نص الرواية من وجوه أخرى يرجح ما أثبتنا إذ يكون جواب النبي صلى الله عليه وسلم على أنها مصبية : العِيال .. أوهم إلى الله ورسوله ولعل مما يؤيد ما نذهب إليه هذا الذى تتواتر به الروايات : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتيها وهى ترضع ابنتها زينب فإذا جاءها أخذت طفلتها فى حجرها ترضعها ، أقول : ربما ظل فى نفسها ما ردت به عليه أول الأمر . . . أنها ذات صبية يشغلونها عن أن تقوم بحق الزوج . =

وأمّا أولياؤك فانّه ليس أحد منهم شاهد ولا غائب[1] إلا سيرضى بي.

فقالت: قم يا عمر فزوج رسول الله فزوّجها. فقال رسول الله ﷺ: أما إنّي لا أنقصك مما أعطيت أختك فلانة شيئاً[2] (٥ ظ) جرّتين ورحيين[3] ووسادة من أدم حشوها ليف.

وكان رسول الله ﷺ يأتيها وهي ترضع ابنة أبي سلمة، وكانت إذا جاء[4] رسول الله ﷺ أخذتها ووضعتها في حجرها ترضعها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّيا كريماً. ففطن لها عمّار بن ياسر، وكان أخاها من الرضاعة، قال: فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيها ذات يوم، فجاء عمّار فنشط[5] زينب من حجرها، وقال: دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي قد آذيت بها رسول الله.

= وانظر مسند أحمد (الطبعة الأولى) ٦/٣٢٠، ٣٢١.

(١) في الأصل: غايب.

(٢) في الأصل: شيا.

(٣) في الأصل: رحاتين. وهي، على ما أثبتّ، في الطبقات ٨/٦٣ ومسند أحمد (الطبعة الاولى) ٦/٣١٤. والمشهور الشائع في معاجم اللغة: رحى وتثنيتها رحيان ورحوان، وليس فيها رحاة. وانظر: أساس البلاغة (رحى) واللسان والتاج في هذه المادة. ولعلّ هذه التثنية على «رحاتين» القائمة على أن الأصل: رحاة، هي من مذهب أبي عبيدة في تجويز دخول تاء التأنيث على ألف التأنيث المقصورة خلافا للنحويين.

وانظر مجالس العلماء للزجاجي ٥١.

(٤) في الأصل: جا.

(٥) في الطبقات، في الموطن السالف: «فانتشطها من حجرها»... وفي اللسان (نشط): «فنشط زينب من حجرها، ويروى فانتشط».

فدخل صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقلّب بصره فى البيت ويقول : أين زُناب ؟ ما لى لا أرى زناب ؟ ! أين زناب ؟ قالت : جاء عمّار فذهب بها . فبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهله ، وقال لها إن شئت أن أُسبّع لك ، يعنى كما سبّعت النساء[1] .

مضت أمّ سلمة .

ثم تزوّج صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى اثنتين[2] من التاريخ ، فى عقب بدر ، بعدما رجع إلى المدينة ، حفصة[3] بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله عند خُنَيْس بن حذافة بن الغيداق السهمى[4] .

---

(١) نص الحديث بهذا الإسناد فى الطبقات (٨ / ٦٢) : إن شئت أن أسبّـع لك سبعت للنساء . وفى مسند أحمد ٦/٢٩٥ بالإسناد نفسه : إن شئت سبعت لك وإن سبعت لك سبعت لنسائى . وفى الاستيعاب ٤/١٩٢١ وفى أسد الغابة ٥ / ٥٦٠ : إن شئت سبّـعت عندك وسبعت لنسائى وإن شئت ثلّـثت ودرت فقالت : ثلّـث .

(٢) نقل هذا التاريخ لزواج النبي صلى الله عليه وسلم من حفصة ، عن أبى عبيدة ، ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤ / ١٨١١ وابن الأثير فى أسد الغابة ٥/٤٢٥ والنووى فى التهذيب ١ / ٢ / ٣٣٨ والمحب الطبرى فى السمط الثمين ٨٤ وابن حجر فى الإصابة ٤/٢٦٥ .

(٣) فى زواج النبي منها انظر : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا . . .) ٢/٦٤٥ والطبقات ٨/٥٦ وما بعدها والمحبر ٨٣ ومسند أحمد (الطبعة الأولى) ٦/٢٩٥ والاستيعاب ٤ / ١٨٨١ والروض الأنف ٢/٣٦٧ وأسد الغابة ٥ / ٤٢٥ والسمط الثمين ٨٣ وجلاء الأفهام ١٥٨ وإمتاع الأسماع ١١٣ والإصابة ٤ / ٢٦٤ .

(٤) انفرد أبو عبيدة بذكر الغيداق فى نسب خنيس بن حذافة . وانظر هذه المصادر والمواطن التى يعرض أثناءها نسب خنيس وذكره فيها : سيرة ابن هشام ١ / ٢٥٦ ، ٣٢٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٤٧٦ والطبقات ٨ / ٥٦ =

والدليل على وقت تزويجه إياها أنه تزوجها بعد وفاة رقيّة بنت النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم خلّف عثمان بالمدينة ، حين غزا بدراً ليمرّض رقيّة ، فلذلك قسم له قسمة من شهد بدراً ، ولم يقسم لأحد لم يشهد بدراً غيره ، فماتت فدفنت يوم أتى أهل المدينة البشير بفتح الله على رسوله ببدر وهم على قبرها (٦ و) . فلمّا قدموا المدينة رأى عمر عثمان مغتما فسأله عن غمّه فشكا إليه اغتمامه لانقطاع الصهر بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له عمر : ألا أزوّجك ابنتي ؟ فلم يجبه ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ذلك . (إذ ظن عمر أن تزويجه ابنته ومصاهرته إيّاه يذهب عنه غمّ ما دخل عليه من وفاة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقطاع صهر ما بينه وبين النبي عليه السلام) فقال له النبي عليه السلام : بل يزوّجك الله خيراً من ابنة عمر وتتزوّج ابنة عمر خيراً منك[1] . فزوجه النبي

= والاستيعاب ٤ / ١٨٨١ والمحبر ٥٤ ، ٨٣ وصحيح البخارى ٣/١٧٦ وجوامع السيرة ٣٣ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٨ ، ١٢١ والدرر ٤١ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٨٣ ، ١٠٠ ، ١٢٤ وأسد الغابة ٥/٤٢٥ والبداية والنهاية ٥/٢٩٤ .

فليس فى تنصيل نسب خنيس فيها ذكرُ الغيداق . . . والغيداق فى الأصل مهملة الغين والياء وقد ترجّح لنا هذا الوجه من الاعجام لأن صورة الكتابه لا تحتمل غيره بالنظر إلى أسماء الأعلام عند العرب فصورة الكتابة تحتمل العبداق والعبذاق والغبداق والغبذاق والغيداق . . . ولا يرد فى كتب الأنساب من هذه الصور المحتملة الكثيرة غير الغيداق ناهيك بأن اشتقاقه من الغدق هيّأ له سعة فى الاستعمال فى لغة العرب فالغيداق : اسم ، والشاب الغيداق الناعم والغيداق الكريم الجواد الواسع الخلق الكثير العطية . . . الخ مما يرجح أن العرب تسمى به وترغب فى إطلاقه على أبنائها (وانظر اللسان غدق) .

(١) هكذا جاء النص من : فقال له عمر : ألا أزوّجك ابنتى ؟... حتى قول النبي صلى الله عليه وسلم وتتزوج ابنة عمر خيراً منك . ولعل النص لو اتخذ =

صلى الله عليه وسلم أمّ كلثوم بنت محمد ، وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة . فهذا دليل .

وزعم بعضهم أن عثمان خطب إلى عمر فردّه فشكا ذلك إلى النبي عليه السلام ، فقال له النبي عليه السلام تلك المقالة .

مضت حفصة .

فهؤلاء خمس من قريش تزوّجهن بمكة وبالمدينة .

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث[1] من التاريخ من حلفاء[2] قريش

= هذه الصورة التالية كان أكثر انسجاماً . « فقال له عمر : ألا أزوّجك ابنتي ؟ إذ ظن عمر أن تزويجه ابنته ومصاهرته إياه يذهب عنه غمّ ما دخل عليه من وفاة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطاع صهر ما بينه وبين النبي عليه السلام . فلم يجبه وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ذلك ، فقال له النبي عليه السلام : بل يزوّجك الله خيراً من ابنة عمر ، وتتزوّج ابنة عمر خيراً منك » .

لكني التزمت بإيراد النص على أصل وروده في المخطوطة حفاظاً على أمانة النشر . هذا وفي النص على أصل وروده دلالة على طريقة أبي عبيدة ومجالسه ؛ فهو في إملاله الشفوي تتداخل المعاني لديه وتتسابق فليست تتسنى له المنطقية التنسيقية الدقيقة عند التعبير شأن من يعد دروسه مكتوبة . وقد وضعت الفقرة التي أحس أن مكانها الصحيح غير مكانها في المخطوطة كما أثبت بين قوسين لتدل على الفكرة أو الخاطر الذي استدرك به أبو عبيدة على ما تقدم من حديثه شأن الأستاذ المشافه يفلت منه الخاطر في مكانه فيورده مستدركا في أقرب مكان يتيسر . وهذا أمر يألفه من اعتاد المدارسة المشافهة .

(١) نقل قول أبي عبيدة هذا ، في تاريخ زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها ، ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/١٨٤٩ وابن الأثير في أسد الغابة ٥/٤٦٣ والنووي في التهذيب ٣٤٥/٢/١ وابن كثير في البداية والنهاية ٤/١٤٥ .

(٢) في الأصل : حلفا .

زينب[1] بنت جحش بن رئاب[2] بن يَعْمَر من بني غَنْم بن دودان بن أسد ابن خزيمة ، وأمّها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم .

وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن مروة[3] مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت حين خطبها النبيّ عليه السلام[4] على زيد مولاه أبت . فأنزل الله

---

(١) في زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها ، انظر : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا ...) ٦٤٤/٢ والطبقات ٧١/٨ وما بعدها والمحبر ٨٥ والروض الأنف ٣٦٧/٢ والاستيعاب ١٨٤٩/٤ وأسد الغابة ٥ / ٤٦٣ وتهذيب النووى ٣٤٥/٢/١ والسمط الثمين ١٠٥ وجلاء الأفهام ١٧٠ والبداية والنهاية ١٤٥/٤ والإصابة ٤/ ٣٠٧، ٣٠٨ .

(٢) بتحقيق الهمزة في رئاب ، وقد اصطفينا هذا الوجه انسجاماً مع النهج الذى حكمنا من تحقيق الهمزة . وهى كذلك في السيرة لابن هشام ٢٥٧/١ أما في جمهرة الأنساب ١٩٠ ، ١٩١ فهى رياب ، بالتسهيل . وهذا الاختلاف بين تحقيق همزتها وتسهيلها هو شأن كتب الطبقات والسيرة والتاريخ .

(٣) في الأصل : مروة وليس في المصادر التى عرضت لنسبه . وانظر نسبه، على سبيل التمثيل في المحبر ٧٠ ، ٧١ ، ٨٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ٢٨٧ ، ٤٤٦ ، ٤٦٢ ، ٤٩٠ وجوامع السيرة ١١٤ . وانظر خبر زيد وتبني الرسول له في الروض الأنف ١ / ١٦٤ .

(٤) في الأصل زيادة « و » قبل النبي . . . وفي الهامش : رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعد « خطبها » إشارة إحالة (ـ) إلى الحاشية المشار إليها في الهامش ... ولو قد أوردنا النص على الأصل ملفقاً من المتن والحاشية لكان : « وكانت حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي عليه السلام على زيد مولاه أبت » ولسنا نرى ذلك مستقيماً في المعنى . فالمأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم خطبها على زيد (الطبقات ٧١/٨) ... ولا أجد لتوجيه النص على صورته الملفقة من الأصل والحاشية تأويلا معقولا . وتقديرى أن الذي طرأ على النص

عزّ وجلّ : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة (٦ ظ) من أمرهم)[١] حتى تنتهي إلى آخر الآية . فقالت : يا رسول الله ! أمري إليك فاصنع ما أحببت . فأنكحها زيداً .

فكان زيد لا يزال يشكوها إلى النبيّ عليه السلام لشيء يكون بينهما وقد كانت نفس النبيّ عليه السلام تتبعها ، وكان يخفي ذلك ، فإذا شكاها يقول له النبيّ : اتق الله وأمسك عليك زوجك . فطلّقها زيد .

فلما انقضت عدّتها أتاه جبريل بأن الله عز وجلّ قد زوجه إياها . وكانت تفخر بذلك على سائر[٢] أزواج النبي عليه السلام . فأنزل الله عزّ وجلّ في تتبّع نفسه إيّاها : (وإذ تقول للّذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحقّ أن تخشاه)[٣] فقالت عائشة : لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من الوحي كتم هذه الآية . قال : (فلمّا قضى زيد منها وطراً زوّجنا كها) إلى آخر الآية . فقالت يهود : تزوج محمد[٤] امرأة ابنه ، وكان يدعى زيد بن محمد فأنزل الله عزّ وجلّ (وما جعل أدعياءكم أبناءكم)[٥] إلى قوله : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمّدت قلوبكم)[٥] . فكان بعد هذه الآية يقال : زيد مولى رسول الله عليه السلام .

بزيادة « رسول الله صلى الله عليه وسلم » إقحام خارجي لعله من صنع الناسخ أو أحد من ملك النسخة أو قرأها تبركا ! ويرجح هذا أن الخط مختلف في الحبر والنوع بين المتن والحاشية و «الواو» قبل النبي — لاشك — من زيادة الناسخ .

(١) الأحزاب ، الآية ٣٦ .

(٢) في الأصل : ساير . (٣) الأحزاب ، الآية ٣٧ .

(٤) في الأصل : محمداً (بالنصب) وهو خطأ . . . امرأةَ . . .

(٥) الأحزاب : الآيتان ٤ ، ٥ .

مضت زينب .

ثم تزوّج فى سنة خمس[1] من التاريخ من سائر العرب جويرية[2] بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية ، هم[3] من بنى عمرو بن خزاعة . وكان سباها يوم المُرَيْسيع ، وكانت عند صفوان بن ذى الشُّفْر الخزاعى[4] ، وهو الذى يقول يوم المُرَيْسيع وهو يقاتل (٧ وأ) :

أنا ابنُ ذى الشفر وحدّى مبدول
رمحى ذو الطُّول وسيفى مسلول
قد علمت نفسى بأنّى مقتول[5]

---

(١) نقل ابن عبد البر هذا التاريخ لزواج النبى صلى الله عليه وسلم من جويرية عن أبى عبيدة فى الاستيعاب ٤/ ١٨٠٥ .

(٢) فى الأصل : جويرة بنت الحرث . المشهور ما أوردنا . وانظر : الطبقات ٨ / ٨٣ وجمهرة الأنساب ٢٣٩ . وانظر فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم منها : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا ...) ٢ / ٦٤٥ ، ٦٤٦ والطبقات ٨/٨٣ وما بعدها والمحبر ٨٩ والاستيعاب ٤/ ١٨٠٤ والروض الأنف ٢١٩/٢ ، ٣٦٧ وأسد الغابة ٥ / ٤١٩ وتهذيب النووى ٢/١ ، ٣٣٦ والسمط الثمين ١١٦ وجلاء الأفهام ١٧١ وإمتاع الأسماع ١١٩ .

(٣) انظر ابن دريد فى الاشتقاق ٤٧٧ . . . وهيئة الكتابة فى الأصل تشبه ثم ، لكنى قدرتها على هذا الوجه بالنظر إلى طريقة الكاتب فى رسم الهاء وبالالتفات إلى طريقة أبى عبيدة الشفوية فى الإملاء ! وانظر جمهرة الأنساب ٢٣٩ .

(٤) يؤيد توجيه الضبط على هذا الشكل : الطبقات ٨/ ٨٣ ، وذيل المذيل ١ / ١٧٧٢ ، ٣ / ٢٤٥٠ .

(٥) كذا فى الأصل المخطوط ، ولم أجد هذه الأشطار فى المصادر التى بين يدى .

فقتل يومئذ ، فوقعت جويرية فى سهم ثابت[١] فجاءت[٢] إلى عائشة لتكلّم لها رسول الله عليه السلام يعينها[٣] فى فدائها . وكانت حلوة حُسّانة[٤] عتيقة . فكلّمته فقال لها : ألا خير من ذلك ؟ أعتقك وأتزوجك وأجعل صدقتك عتقك . فقالت : بلى . فلما رأى ذلك المسلمون أعتقوا ما فى أيديهم من سبايا بنى المصطلق ، وقالوا : أصهار رسول الله .

مضت جويرية :

ثم تزوّج فى سنة ست[٥] من التاريخ من قريش أمّ حبيبة[٦] بنت أبى

---

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى . الطبقات ٨٣/٨ .

(٢) فى الأصل : فجات .

(٣) فى هامش هذه الصفحة من الأصل : يعنها ، ومن فوق حرف يحتمل أن يكون (جـ) على أن يكون علامة تصويب . . . والذهاب إلى فهم هذا الحرف (جـ) على أن المقصود به (الجزم) وكذلك الذهاب إلى أنه إشارة تصويب لحالة الجزم (يعنها) . . . وجه مرجوح .

(٤) وهى تفوق الحسنة فى الاتصاف بالحسن (اللسان : حسن) قال الشماخ :

دار الفتاة التى كنا نقول لها   يا ظبية عطلا حسانة الجيد

وانظر إصلاح المنطق تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ص ١٠٨ (طبعة دار المعارف) .

(٥) نقل هذا التاريخ لزواج النبى صلى الله عليه وسلم من أم حبيبة ، عن أبى عبيدة ، ابن عبد البر فى الاستيعاب ١٨٤٥/٤ والنووى فى التهذيب ٣٥٩/٢/١ وابن كثير فى البداية والنهاية ٤ / ١٤٤ . ونقله ابن سيد الناس فى عيون الأثر ٣٠٦/٢ ، ٣٠٧ ورده قائلا : وليس بشىء .

(٦) فى زواج النبى منها انظر : الطبقات ٦٨/٨ وما بعدها والمحبر ٨٨ والاستيعاب ١٨٤٣/٤ والروض الأنف ٣٦٧/٢ وأسد الغابة ٤٥٧/٥ والسمط الثمين ٩٦ وجلاء الأفهام ١٠٩ والبداية والنهاية ١٤٣/٤ والإصابة ٢٩٨/٤ وإمتاع الأسماع ٣٠٩ .

سفيان بن حرب بن أمية . وكانت قبله عند عبيد الله[1] بن جحش بن رئاب ابن يعمر من بنى عمرو بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وكان هاجر بها إلى أرض الحبشة مع من هاجر إليها ، ثم تنصّر بالحبشة ، وأبت أمّ حبيبة أن تتنصر فمات عنها نصرانيّا . وأتمّ الله عز وجلّ لأم حبيبة الإسلام والهجرة ، حتى قدمت المدينة فخطبها النبيّ عليه السلام ، زوّجها إيّاه عثمان بن عفّان . وزعم بعضهم أنّ النبي عليه السلام كتب إلى النجاشى فزوّجها إيّاه ، فساق عنه أربعين أوقية ، فقدمت عليه المدينة قبل فتح خيبر قدم بها عليه عمرو[2] ابن أميّة الضمرى فبنى بها قبل قدوم جعفر وأصحابه لأنّ (٧ ظ) جعفرا كان آخر من قدم من الحبشة فقدم عليه وهو بخيبر حين فرغ من فتحها . وفتح خيبر فى سنة سبع وغزا النبى عليه السلام خيبر ، وأم حبيبة عنده .

مضت أم حبيبة .

وتزوّج النبيّ عليه السلام من بنى إسرائيل فى سنة سبع أيضاً صفيّة[3] بنت حُيىّ بن أخطب من بنى النضير من بنى هارون ، فكانت مما أفاء الله على

---

(١) عبيد الله بالتصغير فى الأصل . . . وكذا فى سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا . . .) ٢/٦٤٥ والطبقات ٨/ ٦٨ والمحبر ٨٨ والإصابة ٤/٢٩٨ . وفى إمتاع الأسماع ٣٠٩ : عبد الله .

(٢) فى الأصل : عمر . والتصويب من المحبر ٨٨ وجمهرة الأنساب ١٨٥ والبداية والنهاية ٤ / ١٤٣ وإمتاع الأسماع ٣٢٥ .

(٣) انظر فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم من صفية : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا . . .) ٢ / ٦٤٦ والطبقات ٨ / ٨٥ وما بعدها ، والمحبر ٩٠ والاستيعاب ٤/ ١٨٧١ ، والروض الأنف ٢/٢٤٠ ، ٣٦٧ وأسد الغابة ٥ / ٤٩٠ والسمط الثمين ١١٨ ، وجلاء الأفهام ١٧١ ، والبداية والنهاية ٤/١٩٦ والإصابة ٤/٣٣٧ وإمتاع الأسماع ٣٢١ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

رسوله يوم خيبر . وكان فتح خيبر فى رمضان سنة سبع فأعتقها وتزوّجها وجعل عتقها مهرها[1] . وكانت قبله عند سلاّم بن مِشكَم[2] ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق ، فقتله النبىّ عليه السلام يوم خيبر[3].

ثم لمّا فرغ النبي عليه السلام من خيبر وتوجّه معتمراً سنة سبع قدم جعفر فخطب عليه ميمونة[4] بنت الحارث الهلالية . فأذِنَتْ وجعلت أمرها إلى العبّاس فأنكحها إياه والنبي عليه السلام مُحرِم . فلمّا أراد الرجعة أمر

---

(١) أخرج رواية مهر صفية عن أنس البخـارئ فى صحيحه ٣ / ٣٥ ، ١٧٢ ، ١٨٢ .

(٢) انظر فى تحقيق اسمه على ما أثبت : الطبقـات ٨ / ٦٨ والمحبر ٩٠ والاستيعاب ٤ / ١٨٧١ فان كاف مشكم وردت فى الأصل على هيئة اللام وهذا منهج الكاتب فى رسمها ! وانظر فى ضبط مشكم : الطبقات ١ / ٢ ، ١٨٣ وتاريخ الطبرى ١ / ١٣٦٥ ، ١٤٤٩ ، ١٥٨٣ ، ١٧٧٣ — ٢٤٥٢/٣ .

(٣) روى ابن عبد البر معظم خبر صفية وزواج النبى صلى الله عليه وسلم منها ، عن أبى عبيدة ، فى الاستيعاب ١٨٧١/٤ . ونقل النووى فى ترجمته لصفية عن أبى عبيدة أنها ماتت سنة خمسين. وانظر تهذيب الأسماء واللغات ١/٢، ٣٤٩ وتأريخ وفاتها هذا زيادة ليست فى متن المخطوطة . والذى يبدو لى أنها سقطت من الناسخ فان اضطرابا وتداخلا واضحين يعتريان حديث صفية وميمونة إذ يتداخلان ويختتمهما أبو عبيدة بجملته التقليدية : مضت ، ولكنه يقول وبرغم انتهائه من حديث صفية وميمونة معا : مضت صفية !

(٤) فى زواج النبي صلى الله عليه وسلم منهـا انظر : سيرة ابن هشـام (بتحقيق السقا . . . .) ٣٧٢/٢ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ والطبقات ٦٤/٨ والاستيعاب ١٩١٤/٤ والروض الأنف ٢٥٥/٢ ، ٣٦٧ وأسد الغابة ٥/ ٥٥٠ والسمط الثمين ١١٣ وجلاء الأفهام ١٧٢ والإصابة ٣٩٧/٤ وإمتاع الأسماع ٣٣٩ ، ٣٤١.

أبا رافع[1] فحملها إليه ، فبنى بها بِسَرِف[2] . ثم ارتحل سائراً إلى المدينة . ثم توفيت بعد وفاة النبيّ عليه السلام بسرف . وكانت قبله عند أبى رُهم بن عبد العزّى من بنى عامر بن لؤىّ أو عند سخبرة[3] بن أبى رهم[4] فلقيت[5] من سفهاء[6] أهل مكّة أذى يوم حُمِلت .

---

(١) هو مولى النبى صلى الله عليه وسلم وانظر المحبر ٩٢ ، ١٢٨ ، ٤٠٦ .

(٢) ضبطه أن يكون بالسين المهملةمفتوحة والراء المهملة مكسورة . وهو موضع على ستة أميال من مكة وقيل سبعة وتسعة واثنى عشر . . . وانظر معجم البلدان : سرف فى ٢١٢/٣ (نشر صادر) . وفى الطبقات ٩٤/٨ أنه على عشرة أميال من مكة .

(٣) هذا الاسم فى الأصل مخروم الأول ، والصورة المكتوبة المتبقية أقرب إلى ما أثبتنا . وهو سخبرة أيضا فى أسد الغابة ٥ / ٥٥٠ وتهذيب النووى ٢/١ ، ٣٥٦ والإصابة ٣٩٨/٤ . أما فى جمهرة الأنساب ١٦٩ فهو سبرة . . . وهو كذلك سبرة فى الاستيعاب ١٩١٦/٤ نقلا عن أبى عبيدة .

(٤) فى ترجمة ابن عبد البر لميمونة بنت الحارث الهلالية قطعة رواها عن أبى عبيدة وهى مطابقة أو مقاربة نصا لما نجده من خبر تزويج النبى صلى الله عليه وسلم ميمونة فى المخطوطة التى بين أيدينا . ونحن نرى فى هذه القطعة توثيقا لنسبة الكتاب إلى أبى عبيدة وصورة قوية من حياة هذا الكتاب فى تآليف من أعقبوا أبا عبيدة تنضاف إلى مرويات متناثرة عن أبى عبيدة فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم نرجح أنها من هذا الكتاب إذ هى مطابقة لمضمونه بل نصه . وقد أثبتنا شطراً غير قليل من هذه الروايات .

وانظر هذه القطعة التى أسلفنا إليها الإلماح فى الاستيعاب ٤ / ١٩١٦ . وقد روى شطرا منها عن ابن عبد البر بالإسناد إلى أبى عبيدة المحب الطبرى فى السمط الثمين ١١٤ .

(٥) انظر فيما لقيت : المحبر ٩٢ وإمتاع الأسماع ٣٤١ .

(٦) فى الأصل : سفهيا .

مضت صفيّة .

ثم تزوّج النبي عليه السلام فاطمة بنت شريح[1]، وكانت وهبت نفسها للنبيّ عليه السلام ، وأنزل الله عزّ وجلّ : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ إن أراد النبي أن (٨ و) يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين[2]) .

مضت فاطمة .

ثمّ تزوّج زينب بنت خُزيمة[3] ، وهي أمّ المساكين ، وهي إحدى نساء[4] بني عامر بن صعصعة . وكانت قبله عند طفيل بن عبّاد بن الحارث ابن المطلب . فلم تلبث عند[5] النبي عليه السلام إلاّ يسيراً حتى ماتت عنده .

وبعث أبا أسيد بن عديّ بن مالك الأنصاري من بني ساعدة يخطب

---

(١) نقل القول بزواج النبي صلى الله عليه وسلم منها ، عن أبي عبيدة ، ابن الأمين وابن بشكوال وابن سيد الناس وابن حجر ، وانظر عيون الأثر ٢/٣١٠ والإصابة ٤/٣٧٠ ، وانظر فيمن نقل عن أبي عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بها : البداية والنهاية ٥ / ٢٩٩ .

وجدير بالالتفات أن ابن حجر في الموطن المشار إليه (الإصابة ٤ / ٣٧٠) يجتزئ بنقل القول بزواج النبي صلى الله عليه وسلم منها مما نقل ابن بشكوال عن أبي عبيدة ، لا يزيد على ذلك شيئا في كل ما ترجم لها .

(٢) الأحزاب ، من الآية ٥٠ .

(٣) في زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها انظر : الطبقات ٨/ ٨٢ والمحبر ٨٣ والاستيعاب ٤/١٨٥٣ والروض الأنف ٢ / ٣٦٨ وأسد الغابة ٥ / ٤٦٦ والسمط الثمين ١١٢ وجلاء الأفهام ١٧٠ ، ١٧١ وإمتاع الأسماع ١١٣ ، ١٩٤ .

(٤) في الأصل : نسا .

(٥) هذا التعبير إلى غايته بنصه عند ابن عبد البر دون إسناد . الاستيعاب ٤ / ١٨٥٣ .

عليه عند بنت يزيد من القرطاء[1] من بنى أبى بكر بن كلاب . زوّجها النبىّ عليه السلام فقدم بها عليه فلما ابتنى بها النبىّ عليه السلام ، ولم يكن رآها رأى بها بياضاً[2] فطلقها وردها إلى أهلها وأعطاها الصداق . وزعم بعضهم أنّها هذه الكلابية[3] .

مضت زينب[4] .

وتزوج رسول الله عليه السلام من أهل اليمن أسماء[5] بنت النعمان من بنى الجون من كندة ، فلما أدخلت عليه دعاها إليه ، فقالت : تعال أنت ، وأبت أن تجىء ، فطلّقها[6] .

---

(١) فى الهامش : القرطى (بالألف المقصورة) مع علامة تصويب . وفى الطبقات ٢/١٩٦١ : القرطاء . وفى الاستيعاب ٤/١٩٢٣ وأسد الغابة٥/٥٦٤ والإصابة ٤/٤١١ وعيون الأثر ٢/٣١١ نقلا عن أبى عبيدة : البرصاء . واجتزأت هذه المصادر فى ذكرها بنقل (زواج النبي صلى الله عليه وسلم منهــا) عن أبى عبيدة .

(٢) فى الطبقات ٨/ ١٠٢ والمحبر ٩٦ أن التى طلقها ابياضها عمرة بنت يزيد ابن عبيد بن رواس بن كلاب (من بنى عامر) . . بعث أبا أسيد الساعدى يخطبها عليه .

(٣) انظر الروايات المتغـايرة الكثيرة حول الكلابية فى الطبقــات ٨/١٠٠ — ١٠٢ .

(٤) واضح أنه بهذه الجملة التقليدية قد اندغم خبر هند بخبر زينب دون أن يستقل كل منهما بجملة الإنهاء !

(٥) فى الأصل : اسما . وانظر خبرها فى الطبقات ٨/١٠٢ وما بعدها .

(٦) هذا القول فى قصة فراق النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء مروى عن أبى عبيدة فى ذيل المذيل للطبرى ٢٤٥٩ وأورده ابن عبد البر عن أبى عبيدة فى الاستيعاب ٤/١٧٨٥ ، ١٧٨٦ والمحب الطبرى فى السمط الثمين ١٢٦ .

وقال آخرون[1] : بل كانت أجمل النساء[2] فخافت نساؤه أن تغلبهن عليه ، فقلن لها : إنّه يحب إذا دنا منك أن تقولي : إنّي أعوذ بالله منك . فلما دنا منها قالت له[3] ، فقال ، قد عذت بمعاذ ، وإن عائذ الله عزّ وجلّ أهل (أن)[4] يجار وقد أعاذك الله منّي فطلّقها ، وأمر الساقط بن عمرو الأنصاري فجهّزها ثم سرّحها إلى قومها . فكانت تسمّي نفسها الشقيّة[5] .

وقال آخرون : بل رأى بها ما رأى بالعامرية[6] ففعل بها ما فعل بتلك[7] (٨ ظ) .

وزعم آخرون أن التي[8] عاذت بالله من سبي بني العنبر بن عمرو يوم

---

(١) الرواية بهذا الإسناد إلى « آخرين » في الاستيعاب ٤/١٧٨٦ .

(٢) في الأصل : النسا .

(٣) في التي استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم روايات متكاثرة فمن قائل : إنها أسماء بنت النعمان (الطبقات ٨/١٠٣ ، ١٥٨) ، ومن قائل إنها مليكة بنت كعب الليثي (الطبقات ٨/١٠٦) ومن قائل إنها فاطمة بنت الضحاك (الطبقات ٨/١٠١) ومن قائل إنها الجونية الكندية وليست بأسماء بنت النعمان (المحبر ٩٥) وقد انتفع المحب الطبري بما أورد أبوعبيدة هنا ونقل بالإسناد إليه أن أسماء بنت النعمان هي المستعيذة . السمط الثمين ١٢٦ .

(٤) سقطت « أن » في الأصل ، وصورة التعبير تقتضيها .

(٥) هناك خلاف وروايات متغايرة فيمن كانت تلقب بالشقية . وانظر : الطبقات ٨ / ١٥٨ حيث أطلقت هذا اللقب على نفسها فاطمة بنت الضحاك ابن سفيان . وفي الطبقات ٨/١٩١ أنها الكلابية .

(٦) يقصد بالعامرية هند بنت يزيد . . . . من أبي بكر بن كلاب . انظر الطبقات ٨/١٠٢ .

(٧) أورد هذه الرواية ، عن أبي عبيدة ، المحب الطبري في السمط الثمين ١٢٦ .

(٨) في الأصل : الذي . . .

ذات الشقوق ، وكانت جميلة فأراد النبي عليه السلام أن يتخذها فلما قالت ما قالت أعتقها[1] .

مضت .

ثم تزوّج رسول الله عليه السلام حين قدم وفد كندة عليه قتيلة[2] بنت قيس أخت الأشعث بن قيس فى سنة عشر . ثم اشتكى فى النصف من صفر . ثم قبض عليه السلام يوم الاثنين ليومين مضيا من شهر ربيع الأول ، ولم تكن قدمت عليه ولا دخل بها .

ووقّت بعضهم تزويجه إيّاها ، فزعم أنّه تزوّجها قبل وفاته عليه السلام بشهرين ، وزعم آخرون أنّه تزوّجها فى مرضه . وزعم بعضهم أنّه أوصى بقتيلة أن تخيّر إن شاءت أن تضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين ، ويجرى عليها ما يجرى على أمهات المؤمنين ، وإن شاءت فلتنكح من شاءت . فاختارت النكاح ، فتزوّجها عكرمة بن أبى جهل بحضرموت ، فبلغ أبا بكر الصديق رضى الله عنه فقال : قد هممت أن أحرّق عليهما . وقال عمر :

---

(١) الرواية بهذا الإسناد « وزعم آخرون » فى الاستيعاب ٤ / ١٧٨٧ ويظهر أن أصحاب السير والتاريخ انتفعوا بمضمون هذه الروايات فى شأن المستعيذة فنقلوا عن أبى عبيدة جواز أن تكونا تعوذتا منه . وانظر مثلا : الاستيعاب ٤ / ١٧٨٦ .

(٢) فى زواج النبي صلى الله عليه وسلم من قتيلة انظر : الطبقات ١٠٥/٨، ١٠٦ وقد أورد ابن عبد البر الشطر الأكبر من خبر قتيلة مطابقا لما هو هنا وكذا فعل ابن الأثير . وانظر الاستيعاب ٤ / ١٩٠٣ وأسد الغابة ٥ / ٥٣٣ . وروى ابن كثير معظم خبرها مع النبي صلى الله عليه وسلم عن أبى عبيدة فى البداية والنهاية ٤ / ٢٩٨ .

ما هي من أمهات المؤمنين ، ما دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا ضرب عليها حجابا . وذكر بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص فيها بشيء وأنها ارتدّت . واحتجّ عمر على أبي بكر في مقالته إنها ليست من أزواج (٩ و) (النبي)[1] صلى الله عليه وسلم بارتدادها فلم تلد لعكرمة إلا مخبلا .

مضت قتيلة .

وتزوّج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمّ شريك[2] من بنى النجار ، ثم قال : إنّى أحبّ أن أتزوّج من الأنصار ولكنى أكره غيرتهن ، فلم يدخل بها[3] .

وزعم عبد القاهر بن السرىّ وحفص بن النضر أنه تزوّج بسناء[4] بنت أسماء[5] بن الصلت الحرامية من بنى سليم ، فماتت قبل أن يبتنى بها[6] .

---

(١) قدرت هذه الكلمة وأثبتها ، وليست فى الأصل . ولعلها أن تكون سقطت أثناء الكتابة . فالكلمة التى قبلها خاتمة صفحة والكلمة التالية لها فاتحة صفحة لاحقة ! واستيفاء التعبير يقتضى إثباتها .

(٢) انظر الروايات المتكاثرة المتغايرة فى نسبها وخبرها فى الطبقات ٨/١١٠ — ١١٢ . وقد أورد ابن عبد البر خبر أم شريك الأنصارية مطابقا لما هنا دون إسناد صريح . الاستيعاب ٤ / ١٩٤٣ . وكذا أورده ابن الأثير فى أسد الغابة ٥/٥٩٥ .

(٣) انظر فى غيرة نساء الأنصار ما رواه النسائى عن أنس فى سننه ٦/٦٩ .

(٤) فى الأصل : بسنا . وانظر وجوه رواية اسمها فى الإصابة ٤/٣٢٨ .

(٥) فى الأصل : أسما .

(٦) حديث سناء منقول عن أبي عبيدة بإسناده هذا فى الاستيعاب ٤/١٨٦٥ وأسد الغابة ٥/٤٨٢ والإصابة ٤/٣٢٨ . وزاد صاحب الإصابة : =

فجميع من تزوّج النبيّ صلى الله عليه وسلم من قريش سبع نسوة :

أوّلهنّ خديجة ، ثم سودة ، ثم عائشة ، ثم أمّ سلمة ، ثم حفصة ، ثم أم حبيبة ، ثم فاطمة ، وواحدة من حلفاء قريش . فذلك ثمان .

وجميع من تزوّج من سائر[1] العرب تسع نسوة : جويرية ، ثم ميمونة ، ثم زينب أم المساكين ، ثم الكلابية ، ثم عمرة الغفارية[2] . ثم أسماء[3] بنت الجون ، ثم قتيلة بنت قيس ، وأم شريك النّجارية ، وسناء[4] السلمية ، فذلك تسع . وصفيّة بنت حيّ من بني إسرائيل . فذلك عشر[5] .

وكانت له (٩ ظ) صلى الله عليه وسلم وليدتان : إحداهما مارية القبطية ، وكان المقوقس صاحب الإسكندرية بمصر قد بعث بها إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فولدت له إبراهيم[6] ، فأوصى بالقبط خيراً ، وقال : هم أصهارنا ، وقال : لو بقي إبراهيم ما سبيت قبطيّة .

= وقال (أبو عبيدة) : هي عمة عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت أمير خراسان . وانظر في هذه الزيادة : المحبر ٩٣ . وانظر فيمن نقل عن أبي عبيدة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم تزوّجها : البداية والنهاية ٥/٢٩٩ .

(١) في الأصل :ساير

(٢) هي عمرة بنت يزيد الغفارية إحدى نساء بني كلاب (البداية والنهاية ٤/٢٩٦) . وقد ذكرها ابن كثير ثانية اثنتين لم يدخل بهما . وانظر البداية والنهاية ٥/٢٩٢ والسمط الثمين ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٣) في الأصل : أسما

(٤) في الأصل : سنا

(٥) في الأصل : عشرة .

(٦) انظر حديث إبراهيم وأمّه مارية في : الطبقات ٨/١٥٣ وما بعدها والمحبّر ٩٨ والاستيعاب ٤/١٩١٢ . والروض الأنف ١/١٢٤ وأسد الغابة ٥/٥٤٣ وإمتاع الأسماع ٣٠٨ ، ٤٣٣

مضت مارية القبطية .

وكانت له ريحانة بنت زيد بن شمعون من بنى حنافة من بنى النضير[1] . وقال بعضهم : رُبيحة[2] القرظية إحدى[3] نساء[4] بنى حُنافة[5] . وكانت تكون فى نخلة بالعالية[6] ، وكانت تقيل عندها أحياناً إذا ماجاء[7] النخل . وزعموا أنّ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ابتدأه أوّل وجعه الذى توفّى فيه عندها . سباها فى شوال سنة أربع .

تسمية من طلق النبي صلى الله عليه وسلم من نسائه[8]

طلق حفصة بنت عمر فأتاه جبريل فقال له : راجعها ، فإنها صوامة قوامة ، وهى فى الجنة ، فراجعها[9] .

---

(١) فى الطبقات ٩٢/٨ : بنت زيد بن عمرو بن حنافة بن شمعون من بنى النضير . وانظر خبرها فى الاستيعاب ١٨٤٧/٤ وأسد الغابة ٤٦٠/٥ . وقد نقل ابن كثير شطرا من حديث ريحانة هذا عن أبى عبيدة فى البداية والنهاية ٣٠٩/٥ .

(٢) بالتصغير — ابن الأثير : أسد الغابة ٤٦١/٥ وابن سيد الناس : عيون الأثر ٣١١/٢ وابن حجر : الإصابة ٣٠٣/٤ .

(٣) فى الأصل : أحد

(٤) فى الأصل : نسا .

(٥) فى هامش الصفحة من الأصل المخطوط : حنيفة ، يعلوها ظ .

(٦) العالية . . . من أعمال المدينة . . . أرض ماء ونخيل . . . انظر : الطبقات ٨٦/١ ، ١٢٦/٢ ، ١٣٨/٣ ، ١٥٣/٨ .

(٧) فى الأصل : جا

(٨) فى الأصل : نسايه .

(٩) الرواية فى الطبقات ٥٨/٨ ، ٥٩ من أكثر من طريق .

وطلق سودة بنت زمعة فقعدت له قبل صلاة الصبح ، فلما مرّ قالت له : إنه ليس لى فى الرجال أرب ، ولكنى أحب أن أُبعث فى أزواجك فراجعنى ، واجعل يومى لمن أحببت من نسائك . فراجعها وجعل يومها لعائشة[1] .

وزعم (١٠ و) سعيد عن قتادة قال : مات النبى صلى الله عليه وسلم عن تسع[2] ، خمس منهن من قريش ، ثلاث من سائر[3] العرب ، وواحدة من بنى هارون : عن عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبى أمية . فهؤلاء خمس من قريش . ومن سائر العرب ميمونة بنت الحارث ، وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث ، ومن بنى إسرائيل صفيّة بنت حيىّ .

تسمية من خطب النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج

خطب جمرة[4] بنت الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرّى[5] إلى أبيها

---

(١) انظر طلاق النبى صلى الله عليه وسلم زمعة ومراجعته إياها فى الطبقات ٣٦/٨ ، ٣٧ بروايات متقاربة متكاملة من طرق شتىّ .

(٢) انظر ابن حبيب فى المحبّر ص ٩٨ ، فإن روايته مقاربة .

(٣) فى الأصل : ساير

(٤) فى الأصل : حمزة . ولعله وهم من الناسخ ، فلست أجد أن العرب يسمون بحمزة غير الرجال . وهى كذا (حمزة) فى البداية والنهاية ٣٠٢/٥ وليس بشىء ، فان طبعته كثيرة التحريف . والتصويب من الطبرى ١٧٧٧/١ وعيون الأثر ٣٠٩ . وهى جمرة أيضا فى التاج — جمر .

(٥) فى الأصل : المزنى ، وهو خطأ من الناسخ . وانظر إمتاع الأسماع ٢١٩ وتاج العروس (جمر)

فقال : إن بها سوءاً . ولم يكن بها شيء[1] ، فرجع إليها أبوها وقد برصت . فهي أم شبيب بن البرصاء[2] الشاعر .

وخطب أم حبيب[3] بنت العباس بن عبد المطلب ، فوجد أباها العباس ابن عبد المطلب أخاها من الرضاعة ، أرضعتهما أمة اسمها ثويبة ، أمة كانت لأبي صيفيّ بن هاشم[4] .

---

(١) في الأصل : شيئا ، وهو وجه مرجوح ، وتوجيهه هنا بعيد .

(٢) في الأصل : البرصا

(٣) كذا في نسب قريش ٢٧ وهو أشهر (الإصابة ٤٢٢/٤) وفي الطبقات ٢/٤ : أم حبيبة . وانظر في خطبة النبي إياها : الطبري ١٧٧٧/١ والبداية والنهاية ٣٠٢/٥ .

(٤) برغم ما يرد في الطبري والبداية والنهاية من القول بخطبة النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيب (انظر المصدرين المذكورين في الموطنين المشار إليهما آنفا) . . إلا أن الأعرف في الأمهات من المصادر أن أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، من أبناء عبد المطلب ، وهو حمزة . وليس يرد العباس أخا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة (الطبقات ٦٧/١ ، ذخائر العقبى ٢٥٩ ، ٢٦٠) . فثويبة وهي مولاة كانت لأبي لهب ، أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم بلبن ابنها مسروح وأرضعت أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي وحمزة (الاشتقاق ١٠٢ والطبقات ٦٧/١ ، ٦٨ والبداية والنهاية ٨٩/٤ ، ٩٠). ومن إخوة النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أبو سفيان ابن الحارث ابن عبد المطلب ، أرضعتهما حليمة (ذيل المذيل ٢٣٠٨/٣) .

ثم إن العباس أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ومستبعد أن يكون شركه فترة الرضاعة . ذيل المذيل ٢٣١١/٣ والطبقات ١/٤ ، والذي يتواتر في الطبقات هو عرض ابنة حمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس بين الروايات واحدة عرض فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ابنة العباس . ويورد ابن حجر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان نوى أن يتزوج أم حبيب =

وقال العباس للنبيّ صلى الله عليه وسلم : أراك تزوّج من نساء[1] قريش هاهنا وهاهنا ، فما يمنعك من بنت حمزة ؟ قال : إن أباها رضيعي[2] .

وعرض عليه الضحاك بن سفيان[3] ، أحد بني أبي بكر ، ابنته ، ووصف جمالها . ثم قال : ومع ما وصفت لك من جمالها أنّها لم تُصدَع قطّ . فقال : لا حاجة لي (١١) بها[4] .

وذكر عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي[5] قال : سمعت يحيى بن سعيد[6] يقول : أخبرتني عمرة[7] أن حبيبة بنت سهل كان رسول الله صلى الله

= إن تبلغ وهو حيّ (الإصابة ٤٢٢/٤) ... ولكنه قبض (صلى الله عليه وسلم) قبل أن تبلغ (الاستيعاب ١٩٢٨/٤ وأسد الغابة ٥٧٢/٥) وانظر في إخوة النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة : سيرة ابن هشام ١ / ١٦١ وإمتاع الأسماع ص ٥ ، ٦ .

(١) في الأصل . نسا .

(٢) الحديث في الاستيعاب ٢٩/١ .

(٣) صحابي ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية إلى بني كلاب . انظر تهذيب النووي ١/١ ، ٢٤٩ ، وعيون الأثر ٢/ ٢٠٦

(٤) روى هذا بنصه ابن عبد البر دون إسناد . الاستيعاب ١٩٠٠/٤ وأخذه عنه ابن الأثير في أسد الغابة ٥٢٤/٥ والمحب الطبري في السمط الثمين ١٢٩ وفي الطبقات ١٠١/٨ ، ١٥٩ والسمط الثمين ١٢٩ وإمتاع الأسماع ٤٣٣ : أنه تزوجها . . .

(٥) « أبو محمد ، ولد سنة ثمان ومائة . وتوفي بالبصرة سنة أربع وتسعين ومائة . » ابن قتيبة : المعارف ٥١٤ .

(٦) يحيي بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة . . . من بني النّجار . . . ولي القضاء لأبي جعفر (الاشتقاق ٤٥١ وما قبلها) .

(٧) هي عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة من بني مالك ابن النجار ، أمّ حبيبة بنت سهل . الطبقات ٣٢٦/٨ . وتهذيب النووي ٣٣٧/٢/١ .

عليه وسلم همّ بها أن يتزوجها ، وأن ثابت بن قيس تزوجها . قالت عمرة : وكان رجلا شديد الخلق فضربها فأصبحت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغلس . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآها فقال : من هذه ؟ قالت : أنا حبيبة . قال : ما شأنك ؟ قالت : يارسول الله[1] لا أنا ولا ثابت . قال : فأتى ثابت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ منها ، فأخذ منها . فقالت : أي رسول الله ، عندي والله كل شيء أعطانيه . قالت عمرة : فأخذ منها وقعدت عند أهلها[2] .

آخر الجزء

والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وغفر الله لمن كتبه ولمن قرأه ولجميع المسلمين .

---

(١) لفظ الجلالة هنا ليس في الأصل المخطوط ، والتقدير أنه سقط أثناء الكتابة .

(٢) انظر هذه الرواية من طريق يحيى بن سعيد وغيره في الإصابة ٢٦٢/٤ .

المراجع والمصــادر

(أ) مراجع تحقيق

كتاب تسمية أزواج النبي

(١) ابن الأثير — عز الدين ، أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى (— ٦٣٠ هـ)

أسد الغابة فى معرفة الصحابة .

طهران ١٣٧٧ هـ .

(٢) البخارى — محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤ — ٢٥٦ هـ)

صحيح البخارى

القاهرة ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م

(٣) البغدادى — أبو بكر ، أحمد بن على (— ٤٦٣ هـ)

تاريخ بغداد أو مدينة السلام

الطبعة الأولى — القاهرة ١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م

(٤) الثعالبى — أبو منصور ، عبد الملك بن محمد (— ٤٢٩ هـ)

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب

القاهرة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(٥) ابن الجزرى — شمس الدين ، محمد بن محمد (— ٨٣٢ هـ)

غاية النهاية فى طبقات القراء .

عنى بنشره ج . برجستراسر . وطبع لأول مرة بنفقة الناشر ومكتبة الخانجى بمصر ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م ، وأعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد .

(٦) ابن الجوزى — عبد الرحمن بن على بن محمد (— ٥٩٧ هـ)

صفة الصفوة .

الطبعة الأولى — الهند ١٣٥٥ هـ

(٧) ابن حبيب — أبو جعفر ، محمد (— ٢٤٥ هـ)

المحبَّر (رواية أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى)

اعتنت بتصحيحه الدكتورة ايلزه ليختن شتيتر

حيدر آباد ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م .

(٨) ابن حجر — أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى (٧٧٣ — ٨٥٢ هـ)

الإصابة فى تمييز الصحابة

المكتبة التجارية — القاهرة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م

(٩) ابن حزم — أبو محمد ، على بن أحمد بن سعيد (٣٨٤ — ٤٥٦ هـ)

ا — جمهرة أنساب العرب ، بتحقيق عبد السلام هارون .

دار المعارف بمصر ١٣٨٢ — ١٩٦٢

ب — جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، بتحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد ومراجعة الأستاذ أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر .

(١٠) ابن خلكان — أبو العباس ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨ — ٦٨١هـ)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
القاهرة ١٣٦٧ — ١٩٤٨

(١١) ابن دريد — أبو بكر ، محمد بن الحسن (— ٣٢١ هـ)
الاشتقاق ، بتحقيق عبد السلام هارون .
الخانجي ١٣٧٨ — ١٩٥٨

(١٢) الزجاجي — أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسحق (— ٣٤٠ هـ)
مجالس العلماء ، بتحقيق عبد السلام هارون .
الكويت ١٩٦٢

(١٣) الزمخشري — أبو القاسم جار الله ، محمود بن عمر (— ٥٣٨ هـ)
أساس البلاغة ، بتحقيق عبد الرحيم محمود
صور بالأوفست — القاهرة ١٣٧٢ — ١٩٥٣

(١٤) ابن سعد — محمد ، كاتب الواقدي (— ٢٣٠ هـ)
كتاب الطبقات الكبير ، بتصحيح إدوارد سخو
نشرته مؤسسة النصر بطهران مصوراً عن طبعة ليدن ١٣٢١

(١٥) السهيلي — أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (٥٠٨— ٥٨١هـ)
الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية
لابن هشام وبهامشه « السيرة النبوية » لابن هشام .
القاهرة ١٣٣٢ — ١٩١٤

(١٦) السيوطى — جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد (— ٩١١ هـ)
بغية الوعاة ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣٢٦ هـ

(١٧) ابن سيِّد الناس — أبو الفتح ، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله (٦٧١ — ٧٣٤ هـ)
عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير
القاهرة ١٣٥٦ هـ

(١٨) الطبرى — أبو جعفر ، محمد بن جرير (٢٢٤ — ٣١٠ هـ)
تاريخ الرسل والملوك ملحقاً به (المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين له) . بتحقيق دى غويه .
صورته مكتبة خياط ببيروت عن طبعة أوروبا .

(١٩) ابن عبد البر — أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد (٣٦٨ — ٤٦٣ هـ)
ا — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب
بتحقيق على البجاوى
القاهرة مكتبة نهضة مصر
ب — الدرر فى اختصار المغازى والسير بتحقيق الدكتور شوقى ضيف
القاهرة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .

(٢٠) ابن العماد الحنبلى — أبو الفلاح ، عبد الحى (١٠٨٩ هـ)
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
بيروت

(٢١) القلقشندى — أبو العباس ، أحمد (٧٥٦ — ٨٢١ هـ)

نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب . بتحقيق إبراهيم الإبيارى

القاهرة ١٩٥٩ م .

(٢٢) ابن قيم الجوزية — أبو عبد الله محمد بن أبى بكر (٦٩١ — ٧٥٢ هـ)

ا — جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام

إدارة الطباعة المنيرية ١٣٥٧ هـ

ب — زاد المعاد فى هدى خير العباد . بتحقيق محمد حامد الفقى

القاهرة ١٩٥٣

(٢٣) ابن كثير — إسماعيل بن عمر (— ٧٧٤ هـ)

البداية والنهاية فى التاريخ .

الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م .

القـاهرة

(٢٤) المحب الطبرى — أحمد بن عبد الله (— ٦٩٤ هـ)

ا — ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى

القاهرة ١٣٥٦ هـ

ب — السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين

نشره محمد راغب الطباخ بحلب ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م

(الطبعة الأولى)

(٢٥) مصعب الزبيری — أبو عبد الله ، المصعب بن عبد الله (١٥٦ — ٢٣٦ هـ)
نسب قريش ، بتحقيق ليفى بروفنسال .
دار المعارف بمصر ١٩٥٣ م .

(٢٦) المقريزى — تقى الدين ، أحمد بن على (٧٦٦ — ٨٤٥ هـ)
إمتاع الأسماع . صححه وشرحه الأستاذ محمود محمد شاكر
القاهرة ١٩٤١ م .

(٢٧) ابن منظور — أبو الفضل جمال الدين ، محمد بن مكرم بن على (— ٧١١ هـ)
لسان العرب — بيروت ١٣٧٤ — ١٩٥٥ م .

(٢٨) ابن النديم — محمد بن إسحاق (— ٤٣٨ هـ)
الفهرست
صورته مكتبة خياط — بيروت عن نشرة فلوجل

(٢٩) النووى — أبو زكريا ، محيي الدين بن شرف (— ٦٧٦ هـ)
تهذيب الأسماء واللغات
عن طبعة إدارة الكتب المنيرية .

(٣٠) النويرى — شهاب الدين ، أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ — ٧٣٣ هـ)
نهاية الأرب فى فنون الأدب .
دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

(٣١) ابن هشام — أبو محمد ، عبد الملك . . (٢١٣ هـ)
السيرة النبوية — بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا وآخرين

(٣٢) الواقدى — أبو عبد الله ، محمد بن عمر (— ٢٠٧ هـ)
مغازى رسول الله

القاهرة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

(٣٣) ياقوت — أبو عبد الله ، شهاب الدين — ياقوت بن عبد الله
(— ٦٢٦ هـ)
معجم البلدان
طبع دار صادر — دار بيروت .

الكتاب العربى المخطوط

فى نشأته وتطوره إلى آخر القرن الرابع الهجرى

بقلم الدكتور عبد الستار الحلوجى

كتابة الشعر الجاهلى والمعلقات :

لو صحت القصة التى تقول إن النعمان بن المنذر (المتوفى سنة ٦٠٢ م) أمر فنسخت له أشعار العرب فى الطنوج (وهى الكراريس) ثم دفنها فى قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبى عبيد (حوالى سنة ٦٧ هـ) قيل له إن تحت القصر كنزاً فاحتفره فأخرج تلك الأشعار[1] ، لكانت هذه المدونات أول مخطوطات عربية عرفها التاريخ . ولكننا لا نستطيع أن نبنى حقائق العلم على دعاوى لا تستند إلى أى أساس تاريخى . فالثابت يقينا أن الكتابة فى العصر الجاهلى كانت محصورة فى أناس معدودين ، وأن أدواتها لم تخرج فى معظمها عن العسب واللخاف وعظام أكتاف الإبل وأضلاعها ، وأن الكراريس لم تعرف فى هذا العصر على الإطلاق ، بل إن لفظ الطنوج هذا لم يرد فى غير تلك الرواية التى تنسب إلى حماد ، وهو رجل متهم مشكوك فى رواياته . وهو هنا يزيدنا تشكيكاً فى نفسه حين يعقب على تلك القصة بقوله : « ومن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة » . فى ذلك تحيز واضح لموطنه الكوفى .

وكما ابتدع حماد قصة كتابة الشعر الجاهلى للنعمان ، ابتدع قصة أخرى

(١) الخصائص ، طبعة دار الكتب جـ ١ ص ٣٨٧

ترددت كثيراً فى الكتب القديمة وهى قصة كتابة المعلقات بماء الذهب وتعليقها على أستار الكعبة تخليداً لها وتمجيداً لقائليها . ولقد أثارت تلك الأسطورة جدلا طويلا واختلاف حولها القدماء والمحدثون على السواء . فبينما يثبتها صاحب العقد الفريد وصاحب العمدة ، وينفيها أبو جعفر أحمد بن النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨ هـ)[1] لا نجد لها ذكراً أو حتى مجرد إشارة فى كتابات الجاحظ والمبرد وأبى الفرج الأصفهانى . وما دامت القصة موضع خلاف منذ ظهرت . فأحرى بنا ألا ننحاز إلى صفوف المؤيدين أو المعارضين وأن نناقشها بعيداً عن أولئك وهؤلاء لعلنا ننتهى فيها إلى رأى نطمئن إليه .

وأول ما يلفت النظر فى قصة كتابة المعلقات وتعليقها فى الكعبة هو مصدر الرواية وتوقيتها . فحماد (المتوفى سنة ١٥٥ هـ) هو الذى جمع السبع الطوال وشهرها بين الناس ، وابن الكلبى (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ) هو الذى زعم أنها علقت على الكعبة ، وكلاهما متهم مشكوك فى روايته . ولو صحت هذه الرواية لوجدنا تسمية المعلقات أو المذهبات فى أقدم المصادر التى عالجت موضوع الشعر العربى مثل المفضليات وجمهرة أشعار العرب ، ولما وجدنا صاحب الجمهرة يسمى تلك القصائد الجاهلية « السبع الطوال » ويقول إن المذهبات سبع قصائد للأوس والخزرج خاصة[2] .

وفضلا عما فى مصدر الرواية وتوقيتها من بواعث الشك والريبة ، نلاحظ اختلافاً شديداً حول عدد هذه المعلقات وهل هى سبع أم تسع أم عشر . وحتى

---

(١) شرح المعلقات السبع لأبى جعفر بن النحاس ، ورقة ١٠٠ من مخطوطة دار الكتب رقم ٤٦٠ أدب .

(٢) جمهرة أشعار العرب ، طبعة بولاق ، ص ٣٤ — ٣٥

أصحاب الرأى الواحد يختلفون حول أصحاب تلك القصائد ، فبعضهم يعد الأعشى والنابغة منهم ، والبعض الآخر يسقطهما ويثبت مكانهما عنترة والحارث بن حلزة .

وإلى جانب هذا الخلاف ، هناك خلافات لا حصر لها فى رواية أبيات كل قصيدة من تلك القصائد الجاهلية . ولو أنها كتبت فعلا لما اختلف الناس حول عددها ولا حول أصحابها ولا فى رواية أبياتها .

فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن الكتابة بماء الذهب لم تعرف فى الجاهلية وأن تلك القصائد ليس فيها ذكر للأصنام أو تمجيد لها بحيث تستأهل أن يضعها العرب فى الكعبة موطن مقدساتهم ومعتقداتهم ، وأن كتب التاريخ التى تحدثت عن فتح مكة ذكرت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وجد فى الكعبة أصناماً فحطمها ولم تذكر شيئاً عن قصائد معلقة أبقاها الرسول أو أمر بنزعها باعتبارها شعراً وثنيًا يجب أن يتطهر منه بيت الله الحرام .

وإذا وضعنا فى اعتبارنا قلة الكتّاب وصعوبة الكتابة فى ذلك العصر وتعذر تعليق العسب والعظام واللخاف التى تتسع لمئات الأبيات من الشعر مع المحافظة على ترتيب أبيات كل قصيدة منها . أقول : إن كل هذه العوامل مجتمعة تؤكد حقيقة هامة وهى أن تلك القصائد الجاهلية لم تكتب ولم تعلق على الكعبة وإنما كانت تعيها الصدور ويتناقلها الرواة عبر المكان من قبيلة إلى قبيلة ، وعبر الزمان من جيل إلى جيل .

أما ما يقال من أن بعض الشعراء كانوا يكتبون قطعاً من أشعارهم ويرسلونها إلى قبائلهم تحمل إليهم العتاب حيناً وتصف لهم أحوال الأسر حيناً آخر وتحذرهم من غزو الغزاة وطمع الطامعين فى بعض الأحيان ، فأغلب

الظن أن هذه الرسائل المنظومة كانت شفوية ولم تكن مكتوبة لسببين بسيطين أولهما أن معظم الشعراء فى ذلك العصر كانوا أميين لا يكتبون ، وثانيهما أن أدوات الكتابة وموادها لم تكن من السهولة واليسر بحيث يمكن أن تتوفر للأسير فى أسره أو للسجين فى سجنه .

وإذن فالعرب فى جاهليتهم لم يكتبوا كتباً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، ولم يكن لفظ الكتاب يتجاوز فى أذهانهم مفهوم الكتب السماوية . ولعل ذلك هو ما يفسر لنا إطلاق تعبير « أهل الكتاب » فى القرآن الكريم على أصحاب الديانات السماوية السابقة على الإسلام .

ولسنا بذلك ننفى معرفتهم بالكتابة أو استعمالهم لها ، لأن الكتابة كانت معروفة ومستعملة فى جزيرة العرب قبل الإسلام بزمن غير قصير ، ولكنها كانت محصورة فى نطاق ضيق محدود وفى أناس معدودين لم يتجاوزوا بها كتابة العهود والأحلاف وصكوك الدَّين ، ولم يتوسعوا فى استعمالها بحيث تشمل مختلف شئون الحياة التى يحيونها .

وإذن فقد كانت الكتابة فى العصر الجاهلى مغلولة الخطى ، وكان الإسلام هو الذى فك إسارها وانطلق بها على طريق التطور والنماء حين أخذ أصحابه بتعلمها وممارستها فى مختلف شئون الحياة التى يحيونها « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدَيْن إلى أجل مسمًّى فاكتبوه . . . . . . ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا[1] » .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٢ .

المخطوط الأول :

ومع ظهور الإسلام بدأت طبقة جديدة من الكُتّاب تظهر فى المجتمع العربى وتدور فى فلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإلى جانب كُتّاب الوحى ، كان هناك كتاب يكتبون الرسائل التى يبعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شتى بقاع الأرض يدعو الناس فيها إلى الدخول فى دين الله ، وآخرون يكتبون للرسول صلوات الله وسلامه عليه حوائجه ، وغيرهم يختصون بالكتابة فى شئون المسلمين .

وسرعان ما انتشرت الكتابة بين أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى خشى عليهم أن يخلطوا القرآن بسواه فى تلك الفترة الأولى من تاريخ الدعوة ، فنراه يصدر أمره بألا يكتب المسلمون شيئاً سوى القرآن .

وهكذا نستطيع أن نقول إن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته قد شهد تحرجاً من التوسع فى استعمال الكتابة ، ولكن هذا الحرج كان يزول مع الزمن شيئاً فشيئاً ، وكانت دواعى التدوين تفرض نفسها على العرب وتلح عليهم يوماً بعد يوم نتيجة لانتشار الروايات وتشعب الأسانيد وكثرة أسماء الرجال وكُناهم وأنسابهم مما جعل الحفظ أمراً عسيراً مجهداً . وتمخض ذلك كله عن حركة التدوين التى ظهرت مع أوائل القرن الثانى الهجرى .

أما فى القرن الأول فلم يكن لدى العرب كتاب يستأثر باهتمامهم غير كتاب الله .

فحينما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة فزع عمر بن الخطاب إلى خليفة رسول الله يسأله أن يجمع القرآن خوفاً على ضياعه بمقتل حملته وحافظيه ،

فتردد أبو بكر فى أن يقدم على عمل لم يقدم عليه رسول الله ، وما زال عمر يراجعه حتى شرح الله صدره للذى شرح له صدر عمر ، فاستدعى زيد بن ثابت الذى كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بأن يجمع القرآن .

وهكذا جُمع المصحف مرتبَ الآيات غيرَ مرتب السور فى خلافة الصدّيق رضى الله عنه ، وظلت تلك الصحف عنده حتى توفاه الله ، فانتقلت الأمانة إلى خليفته عمر وظلت عنده حتى لقى ربه ، فآلت من بعده إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر ، وبقيت عندها إلى أن وقع الخلاف بين القراء حين التقى الشآميون بالحجازيين والعراقيين فى فتح أرمينية وآذربيجان سنة ٣٠ هـ حتى كفَّر بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض . ورأى حذيفة بن اليمان ذلك فلم يكد يعود إلى المدينة حتى مضى إلى عثمان يخبره بما رأى وما سمع ، ويقول له : « يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى »(١) . فأمر عثمان بنسخ الصحف التى كانت عند حفصة فى المصاحف ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . ومن المدينة المنورة خرجت أول مخطوطات عربية فى التاريخ متمثلة فى تلك المصاحف التى بعث بها عثمان إلى الأمصار ، والتى اختُلف فى عددها فقيل إنها أربعة، أرسل ثلاثة منها إلى الكوفة والبصرة والشام وأبقى الرابع بالمدينة . وأضاف البعض مصحفاً خامساً قالوا إن عثمان بعث به إلى مكة ، فى حين ذهب البعض إلى أنها كانت سبعة مصاحف أبقى الخليفة واحداً منها بالمدينة وبعث الستة الباقية إلى الكوفة والبصرة ومكة

---

(١) صحيح البخارى ، طبعة بولاق ، جـ ٦ ص ١٨٣ — ١٨٤ .

والشام واليمن والبحرين[1] . وكانت تلك المصاحف الأولى مكتوبة على الرق لكونه أبقى دواما وأكثر استيعابا للنص ، وكانت مجردة من النقط والشكل شأنها شأن كل ما بقى لنا من كتابات ذلك الزمان . وكانت مجلدة بأبسط صور التجليد وهو وضع كل منها بين لوحين بسيطين من الخشب المجرد من الحلى والزخارف .

خطوات على الطريق :

ومع أن الكتابة العربية قد بدأت تنتشر بين الناس فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين إلا إنها لم تتطور فى شكلها وصورتها وإنما ظلت كما كانت قبل الإسلام مجردة من الشكل والنقط اللذين استحدثا فى عصر بنى أمية . ففى هذا العصر بدأت بواعث الإشفاق من اللحن فى قراءة القرآن تظهر شيئاً فشيئا حتى فرضت على المسلمين أن يبدأوا بشكل آيات المصحف قبل أن يفكروا فى إعجام حروفها ، لأن القرآن لم يكن يحفظ من صحف مكتوبة وإنما كان يصل إلى عقول المسلمين وأفئدتهم بطريق السماع . ومن أجل هذا لم يكن يُخشى من التصحيف بقدر ما كان يخشى من أن يلحن فيه الأعاجم الذين دخلوا فى الإسلام بقلوبهم وعقولهم وألسنتهم .

ونتيجة لهذا قام أبو الأسود الدؤلى البصرى (المتوفى سنة ٦٩ هـ) بنقط المصاحف نقط إعراب فى عصر عمر أو فى عصر معاوية على خلاف فى الروايات . ومن البصرة انتقل النقط إلى المدينة ومنها إلى المغرب وبلاد الأندلس . وكان نقاط المدينة وأهل الأندلس يستعملون اللون الأحمر فى نقط الحركات

---

(١) انظر : كتاب المصاحف ، ص ٣٤ والإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ، ص ٦٣ .

والسكون والتشديد والتخفيف، ويجعلون اللون الأصفر للهمزات خاصة، بينما كان بعض النقاط يستعملون الحمرة للحركات والخضرة للهمزات والصفرة للتشديد. بل إن بعض أهل العراق ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فكانوا يدخلون الحروف الشواذ في المصاحف وينقطونها بلون مخالف لنقط القراءة المشهورة[1].

وكما ظهر نقط الإعراب أول ما ظهر في بلاد الرافدين، كذلك ظهر إعجام الحروف للتفريق بين المتشابه منها أول ما ظهر في البصرة في زمن عبد الملك بن مروان. ولعل السبب في انفراد العراق بتطوير الكتابة العربية هو مجاورة أهله للسريان الذين كانوا ينقطون كتابتهم على هذا العهد.

ولكن اجتماع نقط الإعراب ونقط الإعجام في الكتابة كان أمراً معقداً ومجهداً للكاتب والقارئ على السواء. ومن أجل هذا كان لابد من عملية تيسير للكتابة العربية قُدِّر لها أن تتم على يد الخليل بن أحمد في العصر العباسي الأول. وتتلخص مهمة الخليل في إبدال النقط التي وضعها أبو الأسود بالحركات الإعرابية التي نعرفها اليوم.

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن ظهور تلك العلامات لم يقض على شكل حروف المصحف بطريقة النقط القديمة، فقد كان بعض الكتاب يتحرجون من إدخال أي تعديل على الكتابة بصورتها التقليدية. ونحن نلمس هذا الحرج الذي كان يخامر الصدور في قول أبي عمرو الداني: «وترك استعمال شكل الشعر وهو الشكل الذي في الكتب الذي اخترعه الخليل في المصاحف الجامعة من الأمهات وغيرها أولى وأحق، اقتداء بمن ابتدأ النقط من التابعين واتباعاً للأئمة السالفين[2]».

---

(١) المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني، تحقيق عزة حسن، ص ٢٠.
(٢) المحكم، ص ٢٢

حركة التأليف والترجمة :

ومع تطور الكتابة العربية نحو النضج والكمال ، ومع تحركها نحو الصورة النهائية التي استقرت عليها إلى اليوم ، كانت حركة التأليف العربية تشق طريقها إلى الوجود منذ عصر معاوية الذي يقال إنه كان ينام ثلث الليل ثم ينهض فيحضر دفاتر فيها سير الملوك ومكائدهم وأخبار حروبهم لتقرأ عليه[1] ، ويقال إنه استحضر عبيد بن شرية الجرهمي من اليمن وسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد وأمر بتدوين ذلك ونسبته إلى عبيد[2].

وتمضي حركة التأليف مسرعة في خطاها حتى لنجد رجلا كأبي عمرو بن العلاء (٧٠ — ١٥٤ هـ) يكتب عن العرب الفصحاء كتباً تملأ بيتاً له إلى قريب من السقف[3] ورجلا كعبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي (وكان في العصر الأموي) يتخذ بيتاً فيجعل فيه نادياً ثقافياً — إن جاز لنا أن نستعمل مصطلحات العصر الحديث — فيه شطرنجات ونردات ودفاتر « فيها من كل علم » على حد تعبير أبي الفرج الأصفهاني[4].

ولكن كتب القرن الأول وأوائل القرن الثاني لم تكن سوى مباحث مفردة لا يتجاوز كل منها حدود المسألة التي يناقشها إلى ما يتصل بها أو يدور حولها ، فكان الكتاب بمثابة فصل من فصول كتاب من الكتب

---

(١) مروج الذهب جـ ٥ ص ٧٨

(٢) الفهرست ، طبعة المكتبة التجارية ، ص ١٣٢

(٣) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، جـ ١ ص ٣٢١

(٤) الأغاني ، طبعة دار الكتب ، جـ ٤ ص ٥٢

الحديثة . ومثال ذلك « مسائل نافع بن الأزرق » التى تنسب إلى ابن عباس ونشرها محمد فؤاد عبد الباقى ملحقة بمعجم غريب القرآن .

وبظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء فى القرن الثانى بدأ التأليف يتجاوز حدوده القديمة ، وأصبح العالم لا يلتزم بموضوع محدد وإنما يتعرض لأكثر من موضوع ويتناول أكثر من فن من فنون المعرفة فى المجلس الواحد ، يشجعه على ذلك ويغريه به أن المحاضرات أو حلقات الدرس لم تكن معدّة ولا مكتوبة وإنما كانت تخضع للارتجال والظروف .

وعلى الرغم من ذلك فقد بدأت بعض العلوم تنفصل عن غيرها وتستقل بنفسها منذ منتصف القرن الثانى على وجه التقريب . وكان طبيعيًّا أن يبدأ التأليف فى النحو والحديث والتفسير والمغازى قبل غيرها من العلوم لأنها تخدم النص القرآنى وتساعد على فهمه وتقريبه إلى الأذهان . وبعد ذلك تتابع التأليف فى مختلف فروع المعرفة ، وبدأ العرب يحسون بالحاجة إلى تدوين تراثهم وتاريخهم فظهرت فى المائة الثانية كتب اللغة والشعر والتاريخ متأثره فى أول أمرها بطريقة الإسناد التى كانت متبعة فى كتب الحديث .

وهكذا نستطيع أن نقول إن حركة التأليف الفعلية قد بدأت فى القرن الثانى الهجرى ، ولكنها لم تلبث أن ازدهرت ازدهارا رائعاً على أواخر هذا القرن وأوائل القرن التالى . ويعتبر الإمام الشافعى والمدائنى والواقدى وجابر بن حيان وهشام الكلبى وإسحق الموصلى ، ومن بعدهم الجاحظ والكندى والرازى نماذج رائعة لكثرة الكتب وضخامة حركة التأليف فى تلك الحقبة من التاريخ العربى[1] .

---

(١) راجع فهرست ابن النديم تجد فيه صورة حية لضخامة حركة التأليف فى القرنين الثالث والرابع على وجه الخصوص .

وكنتيجة طبيعية لازدهار حركة التأليف والترجمة وكثرة الكتب وتداولها بين الناس فى هذا العصر ، ظهرت على مشارف القرن الثالث الهجرى أول مكتبة ضخمة فى تاريخ العرب وهى بيت الحكمة أو خزانة الحكمة التى أنشاها الخليفة المأمون . ولم تكن تلك الخزانة مجرد مخزن للكتب كما يوحى اسمها بذلك ، وإنما كانت مركزا للثقافة بأوسع معانيها ، فكانت منتدى للعلماء وقاعة بحث للدارسين ومركزا للترجمة والنشر بتعبير العصر الحديث ، وكانت فوق ذلك كله نموذجا ومثالا احتذاه أولو العلم والمعرفة من ذوى السعة ، فبدأت خزائن الكتب الخاصة والعامة تظهر منذ منتصف القرن الثالث أو حتى قبل أن ينتصف هذا القرن ، ثم تُوِّجت الحركة المكتبية العربية فى القرن الرابع بظهور أعظم مكتبتين فى العصر الوسيط كله وهما خزانة كتب العزيز الفاطمى بمصر وخزانة الحكَم المستنصر الأموى بالأندلس . وفى الأندلس على وجه الخصوص ، كانت الكتب قد كثرت خلال هذا القرن وأصبحت موضع اهتمام الناس جميعا حتى لم تعد مظهرا من مظاهر العلم بقدر ما هى مظهر من مظاهر الترف والثراء ، تماما كما كان الحال فى بلاد الرومان فى القرنين الأولين من ميلاد السيد المسيح . وتلك ظاهرة مرضية لا شك فى هذا ، ولكنها مع ذلك تدل على كثرة الكتب والمصنفات وانتشارها فى ذلك العصر ، وتدل أيضا على أنه كان هناك سوق نشطة لتجارة الكتب .

ولم تكن كثرة الكتب هى الظاهرة الوحيدة الملفتة فى القرنين الثالث والرابع ، وإنما الذى يلفت النظر أكثر من ذلك أن كثيرا من تلك المؤلفات كان يقع فى مجلدات كبيرة حتى ليروى أن كتاب « غريب الحديث » لأبى بكر بن الأنبارى (المتوفى سنة ٣٢٧هـ) كان يقع فى خمس وأربعين ألف ورقة .

وكتاب كـكتاب الأغانى الذى ألفه أبو الفرج الأصفهانى فى واحد وعشرين مجلدا ضخما ، أو كتاب مروج الذهب الذى ألفه المسعودى فى ثلاثين مجلدا ثم اختصره إلى الحجم الحالى ، يعطيانا صورة لضخامة المصنفات فى القرن الرابع الهجرى الذى أُلّف فيه الـكتابان .

ولـكن كثرة الـكتب وضخامتها لا تـكون مثاراً للإعجاب إلا إذا قابلها واقترن بهـا شغف شديد بالقراءة وحرص شديد على اقتناء الـكتب يدفع عجلة التأليف ويمدها بأسباب القوة والانطلاق . وهنا ينبغى أن نسجل بالفخر والإعجاب أن هذا الشغف قد بدأ مع بداية حركة التأليف والترجمة ، أو إن شئنا الدقة قلنا إنه بدأ قبلها ومهّد لها وكان مسبّبا لهـا ودافعا قويا من دوافع وجودها ، ثم لم يلبث أن بلغ ذروته فى القرن الثالث . ويكفى أن نذكر الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحق القاضى وابن الأعرابى كنماذج رائعة لهذا الشغف ، وكممثلين لروح العصر وطبيعته .

الوراقة والوراقون :

ونتيجة لحركة التأليف والترجمة التى ظهرت مع أوائل العصر العباسى وما استتبعها من كثرة المؤلفات وحرص الناس على تناقلها ، ونتيجة لتصنيع الورق فى بغداد فى الربع الأخير من القرن الثانى وما استتبع ذلك من سهولة الحصول عليه وتداوله بين الناس ، ظهرت صناعة الوراقة التى تفرغ لها قوم عرفوا فى كتب التراث العربى باسم الوراقين ، ومارسها إلى جانب هؤلاء المحترفين عدد كبير من العلماء والأدباء والمحدّثين والمفسرين واللغويين والنحاة.

والوراقة — كما يعرّفها ابن خلدون — هى عملية « الانتساخ والتصحيح

والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين[1] » ، « وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الوراق أيضا » كما يقول السمعانى[2] . وبتعبير العصر الحديث نستطيع أن نقول إن الوراقة هى عملية النشر والتحقيق بكل ما تستتبعه من تصحيح وتجليد وتوزيع ، أما حوانيت الوراقين فكانت تقوم مقام دور النشر فى عصرنا هذا ، وكانت تقوم إلى جانب ذلك بما تقوم به المكتبات الآن من بيع الورق والأدوات الكتابية كالمداد والأقلام ، وكانت متمركزة فى المراكز الحضارية وفى مقدمتها عاصمة الخلافة بغداد .

وهناك رأى يرجع بنشأة الوراقة إلى مالك بن دينار (المتوفى سنة ١٣٠هـ) ونحن نرجح أن لفظ الوراقة مشتق من الورق ، وطبيعى ألا تظهر تلك الصناعة إلا بعد أن يوجد الورق ويشيع بين الناس ويصبح فى متناول الجميع ، وذلك شىء لم يحدث إلا فى أواخر القرن الثانى الهجرى بعد أن صُنِّع الورق فى بغداد .

والواقع أنه فى أواخر هذا القرن الثانى كان كل شىء مهيئا لظهور الوراقة . فإلى جانب صناعة الورق التى ولدت على الأرض العربية ، وجد شريانان مهمان غذّيا حركة الوراقة وأمداها بدماء متدفقة متجددة وهما الحركة العلمية وما استتبعها من نشاط فى التأليف والترجمة ، ومجالس الإملاء وما نتج عنها من مؤلفات عرفت فى التاريخ العربى باسم الأمالى .

وهكذا التقت تلك الروافد الثلاثة لتغذى حركة الوراقة التى انتشرت حوانيتها فى شوارع بغداد حتى بلغت أكثر من مائة حانوت قبل أن يبلغ

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبد الواحد وافى ، ص ٩٦٢ .

(٢) الأنساب ، طبعة بريل ، ورقة ٥٧٩ ب .

القرن الثالث نهايته[1] . ولم تكن تلك الحوانيت مجرد أماكن لنسخ الكتب أو بيعها كما قد يتبادر إلى الذهن ، وإنما كانت « مجالس للعلماء والشعراء » على حد تعبير ابن الجوزى[2] ، وكانت ملتقى الطبقات المثقفة فى المجتمع العربى ، وكان يقوم عليها رجال أولو فضل وعلم ، لعل من أبرزهم فى القرن الرابع محمد بن إسحق النديم وأبو حيان التوحيدى .

وخلال القرنين الثالث والرابع الهجريين كانت الوراقة صناعة رائجة وحرفة مجزية ، وكانت أسعار النسخ تتزايد باطراد لدرجة أنها ارتفعت إلى عشرة أضعاف فى خلال قرن واحد . فبينما نسخ وراقو الفراء كل عشر ورقات بدرهم فى القرن الثالث[3] ، نرى أبا العباس الأحول فى غضون هذا القرن يكتب مائة ورقة بعشرين درهما[4] . ثم تنشط سوق الوراقة وترتفع الأسعار ارتفاعا ملحوظا حتى أصبحت الورقة تنسخ بدرهم . فالخطيب البغدادى يروى أن القاضى أبا سعيد السيرافى (المتوفى سنة ٣٨٠) كان « لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس فى كل يوم إلا بعد أن ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم تكون قدر مئونته[5] » .

وكان بعض الوراقين يسعون إلى المؤلفين يحصلون منهم على ما يمكن أن نسميه « حقوق النشر » بمصطلح العصر الحديث ، ثم يمضون إلى العلماء وطلاب العلم يعرضون عليهم بضاعتهم من الكتب التى أعطى لهم مؤلفوها

---

(١) انظر : البلدان لليعقوبى ، طبعة النجف ، ص ١٣ .
(٢) مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجة الأثرى ، ص ٢٦ .
(٣) تاريخ بغداد جـ ١٤ ، ص ١٥٠ .
(٤) معجم الأدباء ، الطبعة الثانية ، جـ ١٨ ، ص ١٢٦
(٥) تاريخ بغداد جـ ٧ ، ص ٣٤٢

حق التوريق فيها ، فمن أراد نسخة من كتاب فما عليه إلا أن يتفق مع الوراق على السعر والوقت اللازم لعملية النسخ والمراجعة والضبط .

وبينما كان بعض الوراقين موظفين دائمين عند عِلْيَة القوم وسراتهم كأولئك الذين كانوا يورِّقون فى خزانة الوزير أبى الفضل بن الفرات وفى دار الوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس ، كان بعضهم الآخر يختصون بعلماء معينين فيلازمونهم كما كان الحال بالنسبة لوراق الفراء .

وكثيرا ما كان الوراقون يباشرون أعمالهم فى دور من يقومون بالوراقة لحسابهم ، وربما اضطروا إلى المبيت عند المؤلفين فى فترات التأليف كالذى يرويه الخطيب البغدادى من أن يعقوب بن شيبة السدوسى (المتوفى سنة ٢٦٢هـ) « كان فى منزله أربعون لحافا أعدها لمن كان يبيت عنده من الوراقين لتبييض المسند ونقله[١] » .

والشيء الذى لا شك فيه هو أن حركة الوراقة فى القرنين الثالث والرابع تعكس نشاطا فكريا رائعا ، وتمثل جانبا مضيئا لا نقول فى تاريخ الثقافة العربية فحسب ، وإنما فى تاريخ الحضارة الإنسانية كلها . فقد كانت عاصمة العباسيين فى ذلك الزمان البعيد تتمتع بثراء فكرى منقطع النظير ، وكانت سوق الوراقين مركزا للنشاط العقلى ، وكانت حوانيتهم مستودعا لكل ما أنتجته القريحة العربية فى شتى فروع المعرفة . وكانت كثرة هذه الحوانيت ورواج سوقها دليلا واضحا على خصوبة الفكر العربى واهتمام الناس فى ذلك الزمان بكل ما يلقى فى مجالس الإملاء ، وما يدون فى بطون الكتب من علوم الدنيا والدين .

ولكن الصورة المضيئة لم تكن تخلو من جوانب معتمة ، فقد كان بعض

---

(١) تاريخ بغداد جـ ١٤ ، ص ٢٨١

الوراقين يختلقون الأكاذيب ويزيفون الحقائق وينسبون المؤلفات إلى غير أصحابها ، فابن النديم يروى أن كتاب الأغانى الكبير الذى ينسب إلى إسحق بن إبراهيم الموصلى ليس من تأليفه وإنما وضعه وراق له يدعى سندى بن على[1] . ولكننا ينبغى ألا نبالغ ، فإن هذا الجانب المظلم لا يمس الصورة المشرقة إلا مسا رفيقا ، لأنه يمثل قطاعا صغيرا لا يكاد يذكر إذا قيس إلى الصورة الكبيرة المشرفة التى لا نملك إلا أن ننحنى لها إجلالا وتقديرا .

صناعة المخطوط العربى :

والآن ، وبعد هذا العرض السريع لظروف النشأة وعوامل التطور التى أحاطت بالمخطوط العربى ، لابد من وقفة أمام المخطوطات العربية الأولى فى محاولة لرسم صورة لصناعة المخطوط العربى فى تلك الفترة المبكرة من تاريخه .

وأول شىء ينبغى أن نلاحظه هو أن الكتاب العربى كان يكتب على الرق فى أول عهده بالوجود ، ثم لم يلبث أن وجد فى أوراق البردى المصرية مادة طيعة له وذلك بعد الفتح الإسلامى لمصر وانتشار تلك المادة من مواد الكتابة فى دنيا العرب . فكانت المادتان تتلقيان الكتابة جنبا إلى جنب ، وكان لكل منهما استعمالاتها ومحبذوها ، فالرق أبقى دواما ولكنه أندر وجودا وأغلى ثمنا وأكثر تعرضا للتحريف والتبديل فى النص المكتوب ، والبردى أقل احتمالاً لعوامل البلى ولكنه أيسر تناولاً وأضمن لبقاء النص المكتوب عليه بغير تحريف أو تبديل لأنه لا يتحمل الكشط دون أن يتمزق أو على الأقل تظهر آثاره واضحة فيه .

ولقد ظل المخطوط العربى محصورا فى هاتين المادتين حتى ظهر الورق

(١) الفهرست ، ص ٢٠٣

مجلوبا من سمرقند أول الأمر ، ثم مصنوعا فى مراكز الحضارة العربية ابتداء من عصر الرشيد الذى يُروى أنه أمر ألا يكتب الناس إلا فى الورق « لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فإنه متى محى منه فسد ، وإن كُشط ظهر كشطه[1] » .

ولكن ظهور الورق فى العالم العربى وصناعته فى بغداد منذ أواخر القرن الثانى لم تؤد إلى اختفاء البردى والرقوق وانعدام استخدامها فى الكتابة بين يوم وليلة ، فحتى عصر الجاحظ كانت الرقوق موجودة إلى جانب الورق إلا أنها كانت فى طريقها إلى الاختفاء والدثور لأنها — كما يقول — « جافية الحجم ثقيلة الوزن ، إن أصابها الماء بطلت ، وإن كان يوم لَثَق[2] استرخت ، وإن نديت — فضلا على أن تمطر وفضلا على أن تغرق — استرسلت فامتدت ، ومتى جفّت لم تعد إلى حالها إلا مع تقبّض شديد وتشنّج قبيح . وهى أنتن ريحا وأكثر ثمنا وأحمل للغش . يُغش الكوفى بالواسطى والواسطى بالبصرى ، وتعتق لكى يذهب ريحها وينجاب شعرها . وهى أكثر عقدا وعجرا وأكثر خباطا وأسقاطا . والصفرة إليها أسرع ، وسرعة انسحاق الخط فيها أعم . ولو أراد صاحب علم أن يحمل منها قدر ما يكفيه فى سفره لما كفاه حمل بعير[3] » .

وعلى الرغم من كل هذه العيوب التى يأخذها الجاحظ على الرقوق فإنه يعترف بأنها أقوى صموداً لعوامل البلى « وأحمل للحك والتغيير وأبقى على تعاور العارية وعلى تقليب الأيدى ، ولرديدها ثمن ولطرسها مرجوع ،

---

(١) صبح الأعشى ج ٢ ، ص ٤٧٥ — ٤٧٦ (٢) أى كثير الندى .

(٣) رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج ١ ص ٢٥٢ — ٢٥٣

والمعاد منها ينوب عن الجدد[1] » مما جعلها مادة صالحة لأن يكتب فيها حساب الدواوين وتسجل عليها الصكوك والعهود والشروط وصور العقارات ونماذج النقوش .

وهكذا نرى أن الرق ظل يستعمل إلى جانب الورق حتى النصف الأول من القرن الثالث ، وكان له من يفضله عليه وخاصة فى كتابة الأمور الحيوية التى يراد لها طول البقاء . وكذلك ظل البردى موجودا كمادة للكتابة وخاصة فى مصر ، ولكنه كان يقل تدريجيا حتى انعدم مع أوائل القرن الرابع للهجرة .

على هذه المواد الثلاث كتب العرب مخطوطاتهم الأولى بأقلام من السعف أو الغاب أو القصب ، وبمداد مجلوب من الصين أول الأمر ، ثم مصنوع فى بلاد العرب بعد ذلك ، إما من الدخان أو من العفص والزاج والصمغ . وكان حبر الدخان يناسب الورق ولا يصلح للجلود والرق لأنه — كما يقول ابن السيد البطليوسى — « قليل اللبث فيها ، سريع الزوال عنها[2] » بينما كان الحبر المطبوخ أو الحبر الرأس — كما كان يسمى فى ذلك الحين — هو المفضل فى الكتابة على الرق .

وكان الخط الكوفى هو الغالب فى كتابة القرآن والكتابات التذكارية لما يتميز به من طابع هندسى يضفى عليه من الجلال ما يتفق مع مكانة تلك الكتابات فى النفوس . أما سائر الكتابات العادية فكانت تكتب بخطوط تميل إلى الاستدارة . ولقد شهدت القرون الأربعة الأولى للهجرة جميع مراحل تطور الخط العربى ابتداء من قلم الطومار الذى وجد منذ أوائل

(١) رسائل الجاحظ ، ج١ ص ٢٥٢—٢٥٣

(٢) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، تحقيق عبد الله البستانى ، ص ٦٨

العصر الأموى حتى خطوط ابن مقلة (٢٧٢ — ٣٢٨ هـ) التى كانت ترتفع عن الوصف وتجرى مجرى السحر على حد تعبير الثعالبى[١] . ثم جاء ابن البواب على مشارف القرن الخامس فهـذب طريقة ابن مقلة ونقحها وكساها طلاوة وبهجة كما يقول ابن خلـكان[٢] .

وكانت الـكتابات الأولى خالية من النقط والشـكل ، وحينما دخلت الـكتابة العربية مرحلة الإعجام ظلت المصاحف على وجه الخصوص محتفظة بصورتها القديمة المجردة . وبينما وجدت الحركات الإعرابية فى بعض مخطوطات القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وفى مواضع اللبس على وجه الخصوص ، نجد أن المصاحف لم تتخلّ عن نقط الإعراب إلا فى فترات متأخرة[٣] .

وتدل أقدم المخطوطات التى بين أيدينا على أن العرب لم يعرفوا صفحة العنوان فى أول عهدهم بصناعة الـكتب ، وأن العنوان كان يأتى فى المقدمة — إن وجدت — وفى نهاية المخطوط . وفى أول الأمر لم يكن العنوان الذى يرد فى المقدمة يتميز عن النص بخطه أو بلون مداده ، ثم رأوا بعد ذلك أن يميزوه بلون مخالف لمداد الـكتابة فاستعملوا له اللون الأحمر فى أغلب الأحيان .

---

(١) ثمار القلوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ٢١٠

(٢) وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، جـ ٣ ص ٢٨

(٣) انظر على سبيل المثال مصحف مسجد سيدنا الحسين والمصحف رقم ٥٠ مصاحف طلعت بدار الـكتب تجد فيهما نقط إعراب على أواخر الـكلمات خاصة .

ونفس الشيء حدث بالنسبة لعناوين الفصول والعناوين الجانبية ، فلم تكن تفترق عن بقية النص في نوع الخط ولا في حجمه ولا في لون مداده ، ولم يكن يميزها إلا أنها تكتب في وسط السطر كما هو الحال في رسالة الشافعي رقم ٤١ أصول فقه م ومسائل أحمد بن حنبل رقم ٢٠٧٥٣ ب وكتاب سر النحو للزجاج رقم ١٤٩ نحو بدار الكتب بالقاهرة (وكلها من مخطوطات القرنين الثالث والرابع) . ثم بدأوا بعد ذلك يختصون العناوين بحروف أكبر وربما بخط مخالف ، وكان الخط الكوفي هو الخط المفضل عادة في مثل تلك الحالات كما في كتاب مشكل القرآن لابن قتيبة المخطوط سنة ٣٧٩ هـ والمحفوظ بدار الكتب برقم ٦٦٣ تفسير . وكانت المرحلة التالية هي تمييز العناوين بلون مغاير للون المداد الذي كتب به النص ، وكان اللون الأحمر هو المفضل في الكتب ، بينما كان الذهب هو المستحب عادة في كتابة أسماء السور في المصاحف .

وكان يطلب من الكاتب مراعاة أن تكون رءوس السطور وأواخرها متساوية ، وأن يكون تباعد مابينها على نسبة واحدة تزاد عند الانتقال من فكرة إلى فكرة أو من موضوع إلى موضوع[1] .

وكوسيلة من وسائل ضبط نهايات السطور ، كانوا يستعملون المدّ أو المط في الكتابة . وكان المد يستعمل عادة « إما لتحسين كلمة مثل محمـــد أو إزالة إشكال في سبع أو إتمام سطر نحو العلم » كما يقول ابن شيث القرشي[2] . ومع هذا فقد كان يطلب إلى الكتاب أن يقتصدوا في استعماله قدر الإمكان وألا يكرروه في سطرين متتاليين وأن يتجنبوه في أوائل السطور على وجه

---

(١) انظر في ذلك : الاقتضاب ، ص ٦٨

(٢) معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، ص ٥٩

الخصوص ، ولم يكن المد مستحباً إلا فى الخط الذى تتقارب سطوره وفى الكلمات التى لا تقل عن أربعة أحرف[1] .

وليس بين أيدينا ما يدل على أنهم كانوا يسطرون الصفحات قبل أن يكتبوا فيها حتى يتحكموا فى عدد السطور ويضمنوا استقامتها ، ومع ذلك فنحن نرجح أنهم كانوا يفعلون ذلك فى المصاحف ذوات الأحجام الكبيرة ويغفلونه فى غيرها من المخطوطات العادية ، نرجح ذلك لسببين : أولهما تعذر استقامة السطور فى المساحات الكبيرة التى كانت تكتب عليها المصاحف بدون تسطير ، وثانيهما : ما نلاحظه من تباين عدد السطور فى المخطوطات من صفحة إلى صفحة ، وانعدام هذا التباين فى صفحات المصاحف .

والشىء الطريف حقاً أن العرب لم يحرصوا فى تلك الفترة المبكرة من تاريخهم على استقامة السطور فحسب ، وإنما حرصوا أيضاً على القيمة الجمالية للكتابة . وفى كتاب « الكُتاب » يرسم لنا ابن درستويه الطريق إلى تحقيق هذه الغاية فيقول : « ومما يعدَّل به السطور أن تجعل أعالى ألفاتها ولاماتها وكافاتها المنتصبة وطاءاتها متآزية على مقدار واحد غير متفاضلة ، وتجعل أسافل الحروف المعرَّقة كالصادات والسينات والنونات والياءات متساوية بمقدار واحد غير متفاوتة ، وكذلك أسافل المعقَّف كالجيمات والعينات فإنها تسلم بذلك من الاعوجاج[2] » .

ولم يكن النساخون العرب فى القرون الأولى للهجرة يستعملون من علامات الترقيم إلا النقطة كأداة للفصل بين الجمل . وكانت فى أقدم صورها عبارة عن

---

(١) انظر كتاب الكتاب لابن درستويه ، ص ٦٩

(٢) الكتاب ، ص ٧٣ — ٧٤

دائرة صغيرة تطالعنا كأداة للفصل بين آيات المصاحف الأولى وكأداة للفصل بين الجمل فى الكتب ، مجردة تارة كما فى مخطوطتى كتاب الانتصار لابن الخياط وكتاب أخبار سيبويه المصرى لابن زولاق بدار الكتب[1] ، وبداخلها نقطة تارة أخرى كما فى مخطوطات سرّ النحو ومسائل الإمام أحمد ومشكل القرآن[2] .

ويفهم من كلام الإمام أبى زكريا النواوى أن الدائرة كانت ترسم مجردة دائماً ، وأن النقطة التى نراها أحياناً بداخلها كان يضعها قارئ النسخة أو صاحبها حين يقرأها على الشيخ أو يعارضها على النسخ الأخرى ليدل بها على الموضع الذى انتهى إليه فى مراجعته[3] .

وكانوا عادة يختزلون صيغ الإخبار والتحديث لتكرارها فى كتب الحديث والتاريخ على وجه الخصوص ، فيكتفون بكتابة « أنا » بدل أخبرنا و « ثنا » أو « نا » بدل حدثنا و « قثنا » بدل قال حدثنا . وفى نسخة الربيع من رسالة الإمام الشافعى[4] وجدت صيغة الإخبار مختصرة إلى « أرنا » . ولم نجد فى مخطوطات القرون الأربعة الأولى للهجرة اختصاراً لصيغة الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان اسمه الشريف يذكر إما مقروناً بالنبوة أو الرسالة وإما متبوعا بالصلاة والسلام عليه دون اختصار .

---

(١) المخطوطة الأولى رقم ٨٥٢ توحيد بالدار ومؤرخة بسنة ٣٤٧ هـ ، والثانية رقم ٣٥٤ تاريخ وهى بخط مؤلفها المتوفى سنة ٣٨٦ هـ .

(٢) المخطوطات الثلاث موجودة بدار الكتب بالقاهرة بأرقام ١٤٩ نحو ، ٢٠٧٥٣ ب ، ٦٦٣ تفسير . والمخطوطة الأولى بآخرها سماع سنة ٣٥١ والثانية بآخرها سماع سنة ٢٦٦ ، أما الثالثة فمخطوطة سنة ٣٧٩ هـ .

(٣) تدريب الراوى ، طبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ هـ ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٤) الموجودة بدار الكتب برقم ٤١ أصول فقه م .

وكان الناسخ إذا أخطأ وتنبه للخطأ فى حينه ضرب عليه (أى شطبه) وكتب الصواب بعده . وفضلا عن ذلك فإن بعض النساخين والطلاب كانوا يراجعون الكتب بعد الفراغ من نسخها لتصحيح ماعساه أن يكون قد وقع فيها من خطأ أو سهو أو تكرار . وكانت الطريقة المثلى للتصحيح هى الضرب على الخطأ وكتابة الصواب فوقه . أما الحك أو الكشط فقد كان مكروهاً لا سيا فى كتب الحديث « لأن فيه تهمة وجهالة فيما كان أو كتب ، ولأن زمانه أكثر فيضيع ، وفعله أخطر فربما ثقب الورقة وأفسد ما ينفذ إليه فأضعفها[1] » .

فإذا تكرر الحرف أو الكلمة سهواً من الكاتب أبطل الثانى إلا إذا وقعا فى آخر السطر ، ففى هذه الحالة يضرب على الأول ويستبقى الثانى . أما إذا وقع أحدهما فى آخر سطر والآخر فى أول السطر الذى يليه فالأولى أن يضرب على الذى فى آخر السطر . فإن تكرر المضاف والمضاف إليه أو الموصوف والصفة ونحوه روعى اتصالهما وذلك بأن يضرب على الأول فى المضاف والموصوف ، وعلى الآخر فى المضاف إليه والصفة ، لأن مراعاة الفهم أولى من مراعاة تحسين الصورة فى الخط[2]» .

وكانت الكلمات المنسية تضاف أحياناً فى مكانها بين السطور إذا كانت لا تتجاوز كلمة أو كلمتين ، وأحياناً أخرى كانت تضاف فى مكانها وتذكر مرة أخرى فى الهامش الخارجى فى مقابل السطر الذى أضيفت فيه . أما إذا كان الكلام المنسى أكثر من أن تتحمله الفراغات الموجودة ، فقد

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ، ص ١٩٢

(٢) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، ص ١٥٧

كان النظام المتبع فى مثل هذه الحال هو أن يضاف فى الحاشية أو الهامش الخارجى، وذلك بأن يخط من موضع سقوطه فى السطر خط صاعد معطوف بين السطرين عطفة يسيرة إلى جهة الهامش، وهو ما يعرف بالتخريج على الحاشية أو اللَّحَق[1] .

وكانت نهاية المخطوط تميز عادة بعبارة تفيد تمامه أو إتباعه بأجزاء أخرى وبعد ذلك يأتى اسم الناسخ وتاريخ النسخ محدداً باليوم والشهر والسنة[2] .

ولم تكن أوراق المخطوط فى القرون الأربعة الأولى للهجرة تخضع لأى نوع من الترقيم، ولكى لا يضطرب ترتيبها أو تختلط على القارئ أو المجلد، بدأوا منذ القرن الخامس يكتبون الكلمة الأولى من كل ورقة فى ذيل الورقة التى تسبقها تحت آخر كلمة من السطر الأخير فيها وهو ما يعرف بالتعقيبات . وبعد ذلك بدأ ترقيم الأوراق ثم ترقيم الصفحات .

وكان المخطوط لا يُقرأ ولا يُسمع ولا يُعارض ولا يُجاز للقراءة أو السماع أو النسخ إلا أثبت ذلك بأوله وآخره . وكثيرا ما كانت الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من المخطوطات لا تتسعان لاستيعاب كل السماعات والقراءات والإجازات والمعارضات والتمليكات وما قد يثبت عليها من فوائد أو نقول، فكانت تلك البيانات تسجل على أوراق منفصلة تضاف فى أول المخطوط وآخره كما هو الحال فى نسخة دار الكتب من رسالة الشافعى . وكانت الإجازات تتضمن اسم المجيز واسم الكتاب وعدد أجزائه وتاريخ الإجازة

---

(١) انظر على سبيل المثال مخطوطة كتاب مشكل القرآن الموجودة بدار الكتب برقم ٦٦٣ تفسير .

(٢) من أفضل الأمثلة على ذلك خاتمة مخطوطة كتاب المشكل سالفة الذكر .

واسم كاتبها . أما السماعات فكانت تتضمن اسم القارئ وأسماء السامعين والقدر المسموع وتاريخ السماع واسم كاتبه[1] . ولهذه التمليكات والسماعات والقراءات والإجازات أهمية بالغة بالنسبة لمن يؤرخون للمخطوط العربى ، فهى تساعد أولاً على تحديد تاريخ المخطوط فى حالة عدم وجوده ، وهى بعد ذلك تكشف لنا عن قيمة المخطوط ومدى اهتمام الناس به فى عصره وبعد عصره بل ومدى الثقة به وبمؤلفه . وهى آخر الأمر تعطينا صورة للحركة العلمية ومدى انتشار الثقافة بل ومدى عمقها فى عصر من العصور .

وبانتهاء كتابة المخطوط يأتى دور اللمسات الفنية . وهنا تجدر الإشارة إلى أن العرب قد عرفوا الكتب المصورة عن طريق الفرس منذ أوائل القرن الثانى . فالمسعودى يحدثنا أن كتابا فارسياً فيه صور سبعة وعشرين من الملوك الساسانيين قد وجد فى خزائن ملوك فارس سنة ١١٣هـ ونقل لهشام بن عبد الملك من الفارسية إلى العربية[2] . ولا شك أن هذا الكتاب وأمثاله من الكتب الفارسية المصورة التى عرفها العرب فيما بعد وعلى رأسها كتاب كليلة ودمنة قد فتحت أمامهم آفاقا جديدة لزخرفة الكتاب العربى وتزويده بالصور والرسوم .

وكتاب « كليلة ودمنة » بالذات يحمل فى سطوره ما يؤكد أنه كان مصوراً حين ترجمه عبد الله بن المقفع فى زمن أبى جعفر المنصور (المتوفى سنة ١٥٨) ، فنحن نقرأ فيه أنه « قد ينبغى للناظر فى كتابنا هذا ألا تكون

---

(١) انظر على سبيل المثال إجازة نسخ فى ختام رسالة الشافعى مؤرخة بسنة ٢٦٥ هـ ، وسماع فى آخر كتاب سر النحو مؤرخ بسنة ٣٥١ هـ .

(٢) التنبيه والإشراف ، ص ٩٣ .

غايته التصفح لتزاويقه» وأن من أغراض الكتاب « إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنساً لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة فى تلك الصور » ، و « أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة ، فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام ، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً[1] » .

وإذن فقد كان هذا الكتاب من أوائل الكتب المصورة فى اللغة العربية إن لم يكن أولها على الإطلاق . وقد ذكره ابن طولون الصالحى ضمن الكتب المصورة ، وأضاف أنه وقف على كتاب « العرس والعرايس » للجاحظ وكتاب « الديارات » للشابشتى مصورين[2] . والكتاب الأول يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث ، بينما يرجع الكتاب الثانى إلى القرن الرابع .

ولسنا نشك فى أن الكتب الجغرافية كانت هى الأخرى تحلى بالخرائط والرسوم ، ويكفى أن تقرأ فى كتاب « أحسن التقاسيم » للمقدسى (المتوفى سنة ٣٨٠ هـ) أو كتاب « المسالك والممالك » لابن حوقل (وهو معاصر المقدسى) لنتبين صدق ما نذهب إليه . فالمقدسى — مثلا — يقول فى مقدمة كتابه : « ولم نذكر إلا مملكة الإسلام حسب ، وقد قسمناها أربعة عشر إقليما ، وأفردنا أقاليم العجم وأقاليم العرب ، ثم فصلنا كُوَر كل إقليم ونصبنا أمصارها وذكرنا قصباتها ورتبنا مدنها وأجنادها بعد ما مثلناها ورسمنا

(١) كليلة ودمنة ، طبعة التجارية ، ص ١٤٠ ، ١٤٤

(٢) ذخائر القصر وتراجم نبلاء العصر ، ورقة ٣٥ ب من مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٢٢ تاريخ تيمور .

حدودها وخططها ، وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة وبحارها المالحة بالخضرة وأنهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف إلى الأفهام ويقف عليه الخاص والعام[1] » . ونمضى مع النص فتطالعنا من حين إلى حين عبارة « وهذا شكل الإقليم ومثاله » لتؤكد لنا من جديد أن المقدسى حين ألّف كتابه رسم لكل إقليم خريطة توضيحية فى موضع الحديث عنه ، وضاعت الخرائط وبقيت النصوص كشواهد القبور دليلا على شىء كان موجوداً ثم اندثر .

ولم تكن الكتب الجغرافية وحدها هى التى توضح بالخرائط والصور ، وإنما كانت كتب الهيئة هى الأخرى تشتمل على صور للكواكب والنجوم وكتاب « صور الكواكب » للصوفى وهو من علماء القرن الرابع يشير إلى تلك الحقيقة حتى من مجرد العنوان .

ونفس الشىء يمكن أن يقال بالنسبة لكتب الهندسة والبيطرة وعلوم النبات ، فلم تكن حاجة تلك الكتب إلى الصور أقل من حاجة كتب البلدان والفلك .

ويبدو أن الكتب العربية المصورة كانت قد كثرت ووجد لها معجبون يحرصون على اقتنائها قبل أن يبلغ القرن الرابع الهجرى نهايته . فالمقريزى يحدثنا أن الوزير اليازورى (فى النصف الأول من القرن الخامس) « كان أحب ما إليه كتاب مصوّر أو النظر إلى صورة أو تزويق[2] » . وأكثر من هذا فلقد ظهرت فى المجتمع العربى طبقة جديدة هى طبقة المصورين

---

(١) أحسن التقاسيم ، طبعة بريل ، ص ٩

(٢) خطط المقريزى ، طبعة بولاق ، جـ ٢ ص ٣١٨

أو المزوقين ، تمارس عملها فى الكتب وفى غيرها ، وبلغت تلك الفئة من الكثرة ومن اهتمام الناس بها إلى حد أن صنفت الكتب فى طبقات أصحابها ، فالمقريزى يذكر لنا فيما ينقله عن القضاعى (المتوفى فى القرن الخامس) كتابا بعنوان «ضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس[1]». وهذا الكتاب الذى لم يبق لنا منه إلا عنوانه يؤكد ما نذهب إليه من أن الصور قد عرفت طريقها إلى الكتب العربية قبل نهاية القرن الرابع الهجرى وإن لم يبق لنا الزمن منها شيئا نستطيع أن نخضعه للدراسة والبحث .

ولم يعرف العرب المصورات فحسب ، وإنما عرفوا المذهبات أيضاً منذ القرن الثالث الهجرى على أقل تقدير . ولكن فن التذهيب بصفة خاصة ارتبط منذ نشأته عندهم بالمصاحف[2] ، وظل هذا الارتباط قائما طوال القرون الأولى للإسلام ، فصاحب الخطط يحدثنا عن أعداد هائلة من المصاحف المذهبة كانت فى خزانة العزيز الفاطمى[3] .

ونتيجة لخلو المصاحف من الزخارف والرسوم كان تذهيبها عادة يتخذ صورة الكتابة بماء الذهب . أما فى الكتب فقد كانت الزخارف والرسومات فى الهوامش وبدايات الفصول هى الميدان الذى يمارس فيه المذهبون فنهم . وكان التذهيب لا يمتد إلى الخط إلا فى نطاق ضيق محدود لا يتجاوز كتابة العناوين .

ولم يقتصر عمل المذهبين العرب على تذهيب صفحات المخطوطات

(١) الخطط ، ج ٢ ص ٣١٨

(٢) يذكر ابن النديم فى الفهرست ص ١٤ أسماء مذهبين للمصاحف بعضهم فى عصره وبعضهم الآخر قبل عصره .

(٣) خطط المقريزى ، ج ١ ص ٤٠٨ ، ج ٢ ص ٢٥٠

وإنما تجاوزها إلى تذهيب جلودها أيضاً ، وبلغوا فى هذا الفن مبلغاً عظيما من التفوق شهدت لهم به أوربا فى العصور الوسطى فمضت تترسم خطاهم وتسير على هداهم ، وكان فن التذهيب « أول الفنون التى تعلمها الإيطاليون من أساتذتهم المسلمون » كما يقول سفندال[1] .

وبانتهاء كتابة المخطوط وزخرفته يأتى دور التجليد وهو فن أخذه العرب فى صورته البسيطة عن الأحباش ، ثم وجدوا عند أقباط مصر رقيا وازدهارا فى هذا المضمار فلم يجدوا بأساً من أن يقتبسوا من فنهم وينسجوا على منوالهم بعد أن دخلت مصر تحت راية الإسلام وأقبل أهلها يدخلون فى دين الله أفواجا . ولقد تجلت مظاهر التأثر بالتجليد المصرى فى استعمال أوراق البردى المقوى فى تغليف المصاحف والكتب وخاصة ما كان منها صغير الحجم ، بينما ظل الخشب هو المادة التى لا غنى عنها فى تجليد المصاحف الكبيرة . وكانت ألواح الخشب هذه تحلى بألوان مختلفة من الزخارف وربما طعمت بالعظم والعاج .

وفى فهرست ابن النديم نجد ذكراً لسبعة من المجلدين على رأسهم ابن أبى الحريش الذى « كان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون[2] » . ومعنى هذا أن التجليد كان قد أصبح فى زمن المأمون فنا مستقلا عن غيره من فنون الكتاب ، وكان يحترفه رجال أولو خبرة ودراية .

ومع أن صناعة الجلود كانت موجودة ومزدهرة فى مناطق مختلفة من الأرض العربية وعلى رأسها اليمن وعدن ومصر والطائف ، إلا أن الجلد لم يدخل فى صناعة التجليد العربية إلا منذ أواخر القرن الثانى على وجه

(١) تاريخ الكتاب ، ترجمة محمد صلاح الدين حلمى ، ص ١٣٣

(٢) الفهرست ، ص ١٤

التقريب ، فاستعملت شرائط منه فى لصق الكعبين أول الأمر ، ثم توسع فى استعماله وبدأ التفنن فى زخرفته بحيث يكتسب قيمة فنية فى حدّ ذاته وبصرف النظر عن مضمون الكتاب . ويكفى أن نشير هنا إلى ما يذكره الخطيب البغدادى من أن كتب أصحاب الحلاج التى جمعت فى أوائل القرن الرابع الهجرى كانت « مبطنة بالديباج والحرير ، مجلدة بالأديم الجيد[1] » .

بقيت كلمة أخيرة عن ترميم الكتب . وقد يبدو الحديث عن الترميم فى مثل تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكتاب العربى شيئا غريبا للوهلة الأولى ، ومع ذلك فمن الطبيعى جدا أن توجد صناعة ترميم الكتب فى وقت لم تكن الطباعة قد عرفت فيه بعد ، ولم يكن استبدال نسخة بالية من الكتاب بنسخة أخرى جديدة أمراً هينا كما هو الحال فى عصر الطباعة . وعلى الرغم من أنه لم يبق لنا من آثار القرون الأربعة الأولى للهجرة دليل مادى على وجود تلك الصناعة ، إلا أننا نجد فى ميزانية دار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر الله فى القاهرة سنة ٣٩٥ هـ بندا « لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها »[2] . ومعنى ذلك أنه قبل نهاية القرن الرابع كان الكتاب العربى قد بدأ يتعرض للتلف سواء من كثرة الاستعمال أو من عدم معرفتهم بأساليب حفظ الكتب وصيانتها ، وكان العرب من جانبهم قد فكروا جديًا فى الأساليب التى يمكن أن يصلحوا بها بعض ما أفسده الدهر ، وأن يعالجوا بها ما تحدثه الحشرات و تقليب الأيدى فى الكتب من تمزّق وتآكل . وهذا فى حدّ ذاته دليل على وعى مكتبي ممتاز ، ومظهر لما كان يحتله الكتاب فى حياتهم من مكانة ، وما كان يحظى به من اهتمام كبير .

---

(١) تاريخ بغداد ، جـ ٨ ص ١٣٥

(٢) خطط المقريزى ، جـ ١ ص ٤٥٩

خاتمة :

وبعد :

فمن هذا العرض السريع للمخطوط العربى منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجرى يتبين لنا أن تلك الفترة الأولى — على رغم ما يكتنفها من غموض وإبهام — كانت فترة خصبة فى تاريخ المخطوط العربى . بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنها أخصب الفترات فى تاريخه على الإطلاق . وحسبها أنها شهدت جميع مراحل تطور الخط العربى والكتابة العربية حتى استوت فى صورتها النهائية ، وأنها شهدت حركة التأليف والترجمة منذ نشأتها إلى أن بلغت قمة مجدها ، وشهدت بعد ذلك تطور صناعة الكتاب العربى من أبسط صورها إلى أن بلغت درجة معقدة من النضج الفنى تجلت فيما كانت تتحلى به مخطوطات تلك القرون من صور وخرائط ، وما بلغته صناعة جلودها من دقة ومهارة وإبداع .

دراسة حول أقوال المؤرخين

عن أسباب الفتح الأيوبى لبلاد اليمن

بقلم محمد عبد العال أحمد

يعتبر تاريخ الأيوبيين فى اليمن من الموضوعات الهامة التى لم تحظ بنصيبها من الدراسة ، ولقد كان الفتح الأيوبى لليمن يمثل حلقة من حلقات توحيد الجبهة العربية وتخليصها من الانقسامات الداخلية لمجابهة القوى الصليبية فى الشام ، وقام صلاح الدين بدور كبير فى هذا المجال ، فبعد أن تم له القضاء على الخلافة الفاطمية فى مصر ، وجه جهوده لتوحيد الأمة العربية وتأمين حدودها ، تمهيداً لخوض معركة فاصلة ضد الصليبيين ، وكجزء من هذه الخطة جهز صلاح الدين أخاه تورانشاه فى حملة الاستيلاء على بلاد اليمن سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

ولقد اختلف المؤرخون فى بيان أسباب ودوافع الفتح الأيوبى لليمن ؛ فيذكر ابن الأثير[١] أن صلاح الدين كان متخوفا من نور الدين محمود ، ولهذا استقر رأيه على امتلاك بلاد النوبة أو اليمن لتكون ملجأ له ولأسرته إذا ما حاربهم نور الدين وطردهم من مصر ــ وقد نقل عن ابن الأثير كثير من المؤرخين(٢) ــ

---

(١) الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ١٧٣ ، ١٧٨

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ — ص٢٣٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ص ٣٣٩ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٢٨٦ ، العمرى : مسالك الأبصار — مخطوط — جـ٢ ص ٤٩٢ ، ابن الوردى : تاريخه جـ ٢ =

ولكن هذا القول لا يتفق مع ما ذكره ابن الأثير نفسه فى موضع آخر من كتابه(1) حيث ذكر أن صلاح الدين استأذن من نور الدين لفتح بلاد اليمن فأذن له، وإنه لمن المستبعد أن يستأذن صلاح الدين من نور الدين إذا كان قد قصد الخروج عن طاعته والوقوف ضده، ورغم ما يقال عما كان بين صلاح الدين ونور الدين من خلافات بسبب تأخر صلاح الدين فى القضاء على الدولة الفاطمية فى مصر، إلا أنه من غير المقبول أن يكون صلاح الدين قد لجأ إلى الاستيلاء على النوبة أو اليمن هرباً من نور الدين؛ ذلك أن صلاح الدين مشهود له بالشجاعة النادرة والتضحية فى سبيل الجهاد ضد الصليبيين عن عقيدة وإيمان « ولو علم نور الدين ماذا ادخر الله تعالى للإسلام من الفتوح الجليلة على يد صلاح الدين من بعده لقرت عينه، فإنه بنى على ما أسسه نور الدين من جهاد المشركين، وقام بذلك على أكمل الوجوه وأتمها(2) ».

ـــــــــــــــــــــــ

= ص ٨٢، ابن تغرى بردى :النجوم الزاهرة جـ٦ص٦٩، المقريزى : السلوك جـ ١ص٥٢، ابن بهادر المؤمنى . فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ـــ مخطوط ـــ ص ١٥، ابن الشحنة : روض المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر ص ٥، أبو الفدا : المختصر فىأخبار البشر جـ ٣ ص ٥٧، الخزرجى : العسجد المسبوك ـــ مخطوط ـــ ص ١٧٦، الشرفى : اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣٢ (أ)، الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ص ٤٠ .

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧٨، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٣٧ هامش ٢، ابن العديم : زبدة الحلب ص ٣٤٠، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٦٩ .

(٢) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢٢٨

ولهذا فإن قول ابن الأثير لايقبله المنطق وتنفيه الوقائع ، خاصة وأنه — فيما يبدو — متهم فى كثير من كتبه عن العلاقات بين نور الدين وصلاح الدين[1] ، وإذا ما سلمنا جدلا بصحة ما ذكره ابن الأثير لكان من المحتم أن يسحب صلاح الدين قواته من اليمن بعد زوال الأسباب التى ذكرها ابن الأثير ، وأعنى بذلك وفاة نور الدين عقب قيام حملة اليمن بقيادة تورانشاه ابن أيوب بوقت قصير[2] ، وتَخَلُّص صلاح الدين مما كان يتهدده من مخاطر من قِبَل نور الدين .

ولكن بدلا من أن يستعيد صلاح الدين قواته من اليمن ليستفيد بها فى تدعيم موقفه ضد الصليبيين ، واصل إرسال المزيد من الإمدادات إليها ، ضمانا لاستمرار تبعيتها للدولة الأم التى أصبح مركزها مصر .

أما أبو شامة[3] فينقل ما ذكره ابن أبى طى عن استغلال الشاعر اليمنى عمارة لصداقته بتورانشاه ، وإقناعه له بالاستيلاء على بلاد اليمن ، وإغرائه بخيرات تلك البلاد وكثرة أموالها مع ضعف حكامها ، مما يسهل مهمة الفتح ، وتستطرد الرواية وتذكر أن هذا الإغراء قد وجد صداه لدى تورانشاه ، لأنه كان كثير

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٣٧ هامش ٢ .

(٢) غادرت حملة تورانشاه الديار المصرية فى مستهل رجب سنة ٥٦٩ هـ / فبراير ١١٧٤ م وتوفى نور الدين فى ١١ شوال سنة ٥٦٩ هـ/١٥ مايو ١١٧٤ م .

(٣) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢١٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٣٨ ، النويرى : نهاية الأرب — مخطوط — جـ ٢٦ ص ١١٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٧٤ ، العينى : عقد الجمان جـ ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقى · الدر الثمين — مخطوط — حوادث سنة ٥٦٩هـ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٥٢ ، الخطط جـ ٣ ص ٥٩ .

النفقات ، ولم يكن إقطاعه بمصر[1] كافيا للوفاء بمتطلباته .

وليس هناك من شك فى أن عمارة استغل معرفته التامة بأحوال اليمن فى عصره للتأثير على تورانشاه ، وإغرائه بفتح اليمن تنفيذا لمؤامرة اشترك عمارة فى تخطيطها مع بقايا الفاطميين فى مصر للقضاء على الأيوبيين والعمل على إعادة الدولة الفاطمية[2] ، وقد اكتشفت المؤامرة بعد خروج الحملة إلى اليمن ، وتخلص صلاح الدين من مدبريها وعلى رأسهم عمارة اليمنى[3] .

---

(١) كان تورانشاه بن أيوب والياً على قوص قبل إسناد قيادة حملة اليمن إليه ، ويعتبر والى قوص من أعظم ولاة مصر وأجلهم . (ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٧٤) وقد أطلق له صلاح الدين خراج قوص لمدة سنة للصرف منه على الحملة ، وكانت عدتها مائتى ألف وستة وستين ألف دينار (انظر ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢١٧ ، العينى : عقد الجمان جـ ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقى : الدر الثمين حوادث سنة ٥٦٩ هـ ، المقريزى : الخطط جـ ٣ ص ٥٩ ، الذهب المسبوك ص ٧١) .

(٢) اتصل المتآمرون بآمورى ملك بيت المقدس ، ووليم الثانى ملك صقلية ، وسنان رئيس الحشيشية ، واتفقوا على أن تقوم قواتهم بغزو مصر وقت أن يكون صلاح الدين بعيداً عنها فى الشام ، وتورانشاه فى جزء من الجيش الأيوبى فى اليمن ، ومن ثم تسهل مهمة المتآمرين فى القيام بثورة فى القاهرة وقت الغزو الخارجى ، فلا تستطيع قوات الأيوبيين التصدى فى وقت واحد للعدوان الخارجى والثورة الداخلية (انظر ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢٢١ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص٢٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٧٥ ، الدمشقى : الدر الثمين ، حوادث سنة ٥٦٩ هـ ، محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ص ٢٨ ، نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ص ٤٢ .

Lane - Poole : Saladin, p. p. 124 - 128, A History of Egypt, p. p. 197 - 198. Kay : Yaman; its Early Mediaeval History, p. VII.

(3) Derenbourg : Omara Du Yémen. vol. 2. p. 548.

هذا فيما يختص بدور عمارة فى دفع وتشجيع تورانشاه على فتح اليمن ، أما فيما ذكر من أن إقطاع تورانشاه لم يكن كافيا لتغطية متطلباته ، فمع التسليم بكثرة نفقات تورانشاه وإسرافه ، إلا أن ذلك ليس سببا مقبولا لتجهيز حملة تكلفت مبالغ طائلة ، وقد كان فى مقدور صلاح الدين أن يزيد من مخصصات أخيه إذا كان هدفه من الحملة تحقيق مكاسب ذاتية له ، هذا بالإضافة إلى أن صلاح الدين كان لا يزال تابعا لنور الدين وليس فى استطاعته أن يجهز هذه الحملة دون موافقة نور الدين واقتناعه بها ، هذا إلى جانب أن الظروف فى مصر كانت تحتم عليه عدم تشتيت قواته ، وبقائها للتصدى لبقايا الفاطميين فى مصر ، والمشاركة فى الوقوف ضد القوى الصليبية .

أما ابن شداد[1] فيذكر بأن سبب الفتح الأيوبى لليمن يرجع إلى ما كان من قوة عسكر صلاح الدين وكثرة إخوته وقوة بأسهم ، وما بلغ صلاح الدين من أمر ابن مهدى[2] وتغلبه على الكثير من بلاد اليمن ، وإقامته الخطبة لنفسه دون بنى العباس ، وزعمه انتشار ملكه حتى يملك الأرض كلها[3] .

---

(١) سيرة صلاح الدين ، المعروفة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، نشر الشيال ، ص ٤٦ .

(٢) قامت دولة بنى مهدى على أنقاض دولة بنى نجاح سنة ٥٥٤ هـ ، ومؤسسها على بن المهدى الحميرى ، وقد استمرت هذه الدولة حتى قضى عليها تورانشاه بن أيوب سنة ٥٦٩ هـ . (عن دولة بنى مهدى) انظر ، محمد عبد العال أحمد : دولة بنى أيوب فى اليمن — رسالة ماجستير لم تطبع — ص ٣٣ — ٣٥ ، ٣٨ — ٤١ — ٤٧ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٧٣ ، جـ ٦ ص ١٦٤ — ١٦٥ ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢١٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ =

وفيما يختص بالشق الأول مما ذكره ابن شداد، فمن المؤكد أن صلاح الدين كان فى أشد الحاجة إلى كل جندى من جنوده، ولم يكن يرمى إلى التخلص من إخوته بمدهم بقوات لفتح بلاد يُشغلون فيها، لمجرد تفادى منافستهم له، فى وقت يتحتم فيه وقوف إخوته إلى جانبه ومساندته ضد الصليبيين. وهكذا فإن إرسال حملة فى مثل هذه الظروف لابد وأن يكون لأسباب ودوافع هامة وقوية، وليس لمجرد كثرة الإخوة وقوة البأس، ولهذا نجد أن ما ذكر ابن شداد فى هذا الصدد ليس له ما يدعمه[1]. أما فيما ذكره من أمر ابن مهدى فإنه وإن كان من بين الأسباب، إلا أنه لم يكن وحده كافيا للقيام بهذه الحملة.

ويذكر الخزرجى[2] نقلا عن الجَنَدى أن رجلا من أهل اليمن يدعى ابن النسّاخ بعث برسالة إلى الخليفة العباسى فى بغداد يشكو له فيها من ابن مهدى،

= ص٢٧٣ — ٢٧٤، العينى: عقد الجمان جـ ٥٠ ص٥٢٢، الخزرجى: طراز الزمن فى طبقات أعيان اليمن جـ ٢ ص ٤٤٠، المسجد المسبوك ص ١٧٤—١٧٥ ابن الديبع: قرة العيون ص ٩٧، بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد ص٩ ب.
Marin: Histiore de Saldin, Tome I. p. 221.

(١) بدأ ابن شداد فى ملازمة صلاح الدين اعتباراً من سنة ٥٨٤ هـ، ولهذا كانت كتاباته عن صلاح الدين بعد ذلك التاريخ على أساس من المشاهدة (سيرة صلاح الدين المقدمة ص ١١). أما الأحداث التى أوردها ابن شداد عن الفترة السابقة، فقد نقلها عن مصادر أخرى، ولم يورد ابن شداد من أحداث الأيوبيين فى اليمن سوى هذا السبب المتعلق بحملة توارنشاه على اليمن.

(٢) المسجد المسبوك ص ١٧٥ — ١٧٦، ابن الديبع: قرة العين ص ٩٧.

وقبح سيرته وسوء عقيدته ، فلما وصلت الرسالة إلى الخليفة ، طلب من صلاح الدين تجهيز حملة إلى اليمن لقتال هذا الخارجى ، ولكن هذا القول بعيد عن الصواب ؛ ذلك أنه من الثابت تاريخيا أن رسالة ابن النساخ هذا كانت سنة ٦١١ هـ/ ١٢١٤ م ، أى بعد أكثر من أربعين عاما من الفتح الأيوبى ، وكانت الشكوى من الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة لاضطهاده فرقة المُطَرِّفيَّة(١) التى ينتمى إليها ابن النساخ ، وكانت هذه الشكوى من بين أسباب حملة الملك المسعود بن الكامل على اليمن سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥ م(٢) ولم تكن الشكوى من ابن مهدى ، وهكذا فلم تكن حملة تورانشاه من نتائجها .

ولقد قيل إن الحملة كانت نجدة للشريف قاسم بن غانم صاحب المخلاف

---

(١) المطرفية ، فرقة من الزيدية ، وكان قد وقع خلاف بينهم وبين الإمام عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤ هـ) ، فحكم الإمام بتكفيرهم وجواز سبيهم واستباحة أموالهم إن لم يتركوا مبتدعاتهم . وفى سنة ٦١٠ هـ ساندهم الشريف الزيدى السيد محمد بن منصور المشرقى — من نسل الإمام الهادى — وأنكر على الإمام ماوقع منه من تكفيرهم ، ودارت بين الطرفين حروب يطول ذكرها . وفى سنة ٦١١ هـ نكل بهم الإمام عبد الله بن حمزة ، وأخرب مساجدهم ودورهم فأنشأ الفقيه اليمنى حسن بن محمد بن النساخ المطرفى رسالة وبعثها إلى الخليفة العباسى فى بغداد ، وكانت هذه الرسالة من بين الأسباب التى أدت إلى قيام حملة المسعود بن الكامل لتعزيز موقف الأيوبيين فى اليمن (انظر ، محمد بن يحيى زبارة . أئمة اليمن جـ ١ ص ١٣٢ — ١٣٦) .

(٢) عن حملة المسعود على اليمن (انظر ، بحث « دولة بنى أيوب فى اليمن « الفصل الثامن ») .

السليمانى[1] للثأر من ابن مهدى لإغارته على مخلافهم[2] ، وقتله عددا من أهل المخلاف على رأسهم الشريف وهاس بن غانم ، وأن صلاح الدين استجاب لدعوة الشريف قاسم[3] الذى عجز عن مقاومة ابن مهدى والثأر

---

(١) ينسب الجندى المخلاف السليمانى إلى الأشراف بنى سليمان (السلوك فى طبقات العلماء والملوك — مخطوط — جـ ١ لوحة ١٥٠ ، فى حين ينسبه الواسعى إلى سليمان بن طرف — عامل بنى زياد على عثر — (تاريخ اليمن ص ١٥١) وينتسب بنو سليمان إلى موسى بن عبد الله بن الحسين بن الحسن ابن على بن أبى طالب ، وكانوا قد تغلبوا على مكة وأسسوا فيها دولة السليمانيين سنة ٣٠١ هـ . ثم هزمهم الهواشم سنة ٤٥٤ هـ وطردوهم منها ، فنزحوا إلى اليمن، ونزلوا المخلاف السليمانى (عمارة . تاريخ اليمن ص ٥ — ٦ ، ١٢ ، محمد جمال الدين سرور . النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص ١٠— ١١) ولاتزال ذريتهم معروفة فى تهامة عسير إلى اليوم (حسين الهمدانى ، حسن سليمان محمود . الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ص ١٥٢) .

(٢) المخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام والكورة لأهل العراق والرساتيق لأهل الجبال والطساسيج لأهل الأهواز (ابن منظور . لسان العرب المجلد التاسع ص ٨٤) ويقول الفيروزابادى : إن المخلاف هو الرجل الكثير الاخلاف (القاموس المحيط) ويذكر الزبيدى أن ولد قحطان لما اتخذوا أرض اليمن مسكناً ، وكثروا فيه ، اتفق رأيهم على المسير فى نواحى اليمن ليختار كل بنى أب موضعاً ، فكانوا كلما اختار بعضهم ناحية تخلف بها عن سائر القبائل وسماها باسم تلك القبيلة المتخلفة فيها ، فسموها مخاليف لتخلف بعضهم عن بعض فيها (تاج العروس . جـ ٦ ص ٩٧) .

(٣) ذكرت بعض المصادر أن الشريف قاسم بن غانم إنما لجأ إلى الخليفة العباسى الذى كتب بدوره إلى صلاح الدين لنجدة الشريف اليمنى (انظر ، بامخرمة قلادة النحر — مخطوط — جـ ٢ ص ٧٥٥ ، يحيى بن الحسين . أبناء الزمن — مخطوط —ص ٥٤ ، الكبسى . اللطائف السنية —مخطوط — ص ٢٧ (أ) =

منه[1] . وكما سبق أن ذكرنا من أن ابن مهدى كان من بين أسباب الحملة ، إلا أننا إذا أردنا تحقيق ذلك ، نرى أن مهاجمة ابن مهدى لأشراف المخلاف السليمانى ومقتل الشريف وهاس بن غانم كان سنة ٥٦١ هـ/ ١١٦٥ م . ولقد كان على أشراف المخلاف باعتبارهم علويين أن يلجأوا للخليفة الفاطمى بمصر ، وليس إلى الخليفة العباسى فى بغداد . أما عن القول من أن الاستغاثة كانت بصلاح الدين ، فإنه من الثابت أن صلاح الدين لم يكن قد جاء إلى مصر حتى ذلك التاريخ ، وأن تقلده الوزارة للخليفة العاضد كان سنة ٥٦٤ هـ/ ١١٦٩ م — أى بعد سنوات ثلاث من مقتل الشريف وهاس ، وحتى إذا ما سلمنا بأن طلب النجدة يمكن أن يكون بعد مرور هذه السنوات على الأحداث الداعية إليها ، فإن مركز صلاح الدين وقتها لم يكن يسمح له بإرسال حملة إلى اليمن باعتباره تابعا لنور الدين محمود ، ومسئولا عن حماية مصر من الخطر الصليبي والمؤمرات الداخلية فيها ، بالإضافة إلى أنه كان يمهد للقضاء على الخلافة الفاطمية . ولهذا فإن قيام صلاح الدين بإرسال حملة اليمن سنة ٥٦٩ هـ ١١٧٤ م وبعد أكثر من ثمانى سنوات من مقتل الشريف وهاس بن غانم السليمانى لمما يؤكد أن الحملة فى أساسها لم تكن استجابة لدعوة الشريف السليمانى .

وعلى الرغم من الشك الذى يحيط بروايات المؤرخين ، فإنه لكى نتعرف

= الجرافى . المقتطف ص ٧٣) ويذكر سبط ابن الجوزى أن الحملة كانت استجابة لدعوة أعيان اليمن (مرآة الزمان ص ٨ ص ٣٠٠) ويقال إن أهل تهامة هم الذين بعثوا إلى صلاح الدين يطلبون منه نجدتهم مما أصابهم من ابن مهدى (يحيى ابن الحسين . أنباء الزمن ص ٥٤) .

(١) الخزرجى . العسجد ص ١٧٦ — ١٧٧ ابن الديبع . قرة العيون ص ٩٨ ، الشرفى . اللآلى المضية جـ ٢ ص ١٣١ ب .

على الأسباب والدوافع التى حدث بصلاح الدين إلى إرسال حملة اليمن ، يجب أن نتعرف أولا على سياسة صلاح الدين ونتتبعها ؛ فلقد كان يهدف إلى تحقيق هدفين رئيسيين .

أولهما : مجاهدة الصليبيين فى الشام واسترداد الأرض السليبة منهم .

وثانيهما : تحقيق سيادة المذهب السنى . وما يتبع ذلك بالضرورة من القضاء على النفوذ الشيعى .

ولكى يتمكن صلاح الدين من التخلص من الصليبيين فى الشام ، رأى أنه لا بد من توحيد الجبهة العربية الإسلامية ، والعمل على تقويتها وتدعيمها ، وتأمين حدودها . كما كان عليه من أجل تحقيق السيادة العباسية ومذهبها السنى أن يقضى على الخلافة الفاطمية بمصر ، ويتلخص من النفوذ الشيعى أينما وجد .

وإنه لمما يؤكد هذه السياسة ويوضحها تلك الرسالة[1] التى بعثها صلاح الدين إلى الخليفة العباسى ، يعدد له فيها فتوحاته وانتصاراته فى مصر والشام والمغرب ، ويطلب منه تقليداً بتوليته على هذه البلاد . ومما أبرزه فى هذه الرسالة استيلاؤه على « قلعة بثغر أَيْلَة ، كان العدو قد بناها فى بحر الهند (البحر الأحمر) وهو المسلوك منه إلى الحرمين واليمن . . . » وبيّن ما كان « من أمر ابن مهدى الضال الملحد ، وقال : فأنهضنا إليه أخانا بعسكرنا — بعد أن تكلفنا له نفقات وأسلحة رائعة — وسار فأخذناه ولله الحمد ، وأنجز الله فيه القصد » . وبعد أن استعرض صلاح الدين فتوحاته وحروبه ،

(١) عن رسالة صلاح الدين للخليفة العباسى (انظر ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢٤١ — ٢١٣ ، وراجع
Arrold : The Caliphate. p. 85.)

ألقى الضوء على العوامل الرئيسية التي تحرك سياسته ، فقال : « والمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ويؤكد الدعوة ، ويجمع الأمة . . . ويفتح بقية البلاد وأن يطبق بالاسم العباسي كل ما تطبقه المهاد » . وهكذا كانت هذه العوامل وحدها هي التي كانت تحرك سياسة صلاح الدين وتحكم تصرفاته .

وعلى ضوء ما تقدم نجد أن حملة تورانشاه على النوبة سنة ٥٦٨ هـ ١١٧٣ م كانت من أجل مطاردة بقايا الجيش الفاطمي من السودانيين والنوبيين — الذين لجأوا إلى جنوب مصر — وأخذوا يعيثون في الأرض فساداً ، ويتحينون الفرص للإيقاع بدولة صلاح الدين والقضاء عليها . ولهذا استهدفت هذه الحملة تعقبهم بغية القضاء عليهم وتطهير جنوب مصر منهم وتأمين حدود البلاد من جهتهم .

أما حملة قراقوش على المغرب سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م فقد ذكرت المصادر أنها كانت من أجل تحقيق ما يشاع عن ثروة المغرب ، وأن يقيم تقي الدين عمر — ابن أخي صلاح الدين — دولة له فيها(١). ولكن الأحداث تشير إلى أن هذه الحملة كانت من أجل تحقيق سيادة المذهب السني ، ومساعدة بني غانية — الموالين للعباسيين — ضد أعدائهم الموحدين(٢) . ومن ناحية أخرى ، فإن قيام دولة الموحدين بالمغرب وخلعهم الطاعة العباسية ، وإقامتهم خلافة مستقلة ، ورفضهم معونة صلاح الدين ، كل ذلك لما يشكل خطراً

---

(١) العيني : عقد الجمان حـ ٥٠ ص ٥٨٥ ، نظير سعداوي : التاريخ الحربي المصري ص ٤١ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب (بحث في مجلة كلية الآداب — جامعة الإسكندرية — المجلد ٦ و ٧ سنة ٥٢ — ٥٣) ص ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ .

على مصر والخلافة العباسية . ولهذا كان لابد من تأمين حدود مصر الغربية التى سبق للفاطميين أن هددوا مصر منها ، والتى استطاع جوهر الصقلى أن يستولى على مصر من ناحيتها ، ويقيم فيها الدولة الفاطمية التى قضى عليها صلاح الدين .

أما حملة اليمن سنة ٥٦٩ هـ ، ١١٧٤ م وأسبابها ودوافعها الحقيقية ، فترجع إلى رغبة صلاح الدين فى تحقيق سيادة المذهب السنى ؛ بالقضاء على دولة بنى مهدى الخارجى فى زبيد ، والتخلص من بقايا النفوذ الشيعى فى عدن وصنعاء بعد أن أصبحت اليمن مركزاً للدعوة الشيعية عقب القضاء على الخلافة الفاطمية فى مصر . ومن ناحية أخرى ، فقد كان الفتح الأيوبى لليمن ضرورة حتمتها وحدة الجبهة العربية الإسلامية من أجل الوقوف أمام الخطر الصليبى ، كما حقق الاستيلاء على تلك البلاد تأمين الحدود من ناحية هذه الجبهة ، والسيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر(١) والعمل على منع أية محاولة صليبية للاعتداء على حرمة الأماكن المقدسة الإسلامية(٢) ، والقضاء على أى تفكير صليبى فى الاتصال بالحبشة المسيحية أو تسرب الفكرة الصليبية فى البحر الأحمر جنوباً إلى الأحباش ، مما قد يؤدى إلى زيادة متاعب صلاح الدين .

---

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية جـ ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) لقد كان الصليبيون يفكرون فى حشد أساطيل عظيمة من البحر الأحمر — عن طريق أيلة — بقصد الإغارة على الحجاز وقبر الرسول . وان قيام البرنس أرناط بحملته فى البحر الأحمر سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م وقصده الأماكن المقدسة ، لهو أكبر دليل على ذلك . وقد تمكن صلاح الدين من إحباط هذه المحاولة الجريئة (عن حملة أرناط ، انظر ، ابن الأثير : الكامل جـ١١ ص٣٢٦ ، أبو شامة : الروضتين جـ ٢ص ٣٦-٣٧ ، ابن واصل : مفرج =

تلك هى أسباب ودوافع الفتح الأيوبى لليمن[1] ، كما أسفرت عنها هذه الدراسة وأرجو من الله التوفيق .

= الكروب حـ ٢ ص١٢٧ — ١٣١ ، ابن جبير : الرحلة ص ١٢٦ — ١٣٠ ، الشيال : تاريخ مصر الإسلامية حـ ٢ ص ٥٨ — ٥٩ ، الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ص ٦٩ — ٧٠ ، سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ص ١٤٠ — ١٤٤ .

Kammerer : La Mer Rouge. Vol. 1.P.P. 60 - 73.
Lane Poole : Saladin' p. 125.
Lamb : The Flame of Islam p. 59.
De Gaury : Rulers of Mecca. p.p. 69 ff.
Wiet (G) Histoire de La Nation Egyptienne (L'Egypte Arabe) p. 322 - 324.

(١) لقد تمكنت الحبشة — قبل الإسلام — من احتلال بلاد اليمن وجعلتها ولاية حبشية (ى . هل الحضارة العربية ص ٦) وكان الفضل فى ذلك إلى المعونات البيزنطية . ولقد استطاع أبرهة أن يتقدم إلى مكة (بركلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية حـ ١ ص ١٤ و ١٥) ولـكن ما إن دخلت مصر والشام فى الدولة الإسلامية حتى فقدت الحبشة حليفتها فى الشمال ، وبدأ الضعف يدب فيها ، حتى أصبح ساحلها الشرقى موطنا للهجرات اليمنية (الحيمى : سيرة الحبشة ص٦٦) . وهكذا فقد كان استيلاء صلاح الدين على اليمن تحقيقا للسيطرة على الطرف الجنوبى للبحر الأحمر ، ومنعا للأخطار التى قد تهدد الأماكن المقدسة الإسلامية من الصليبيين . وعلى الرغم من عدم وجود مايشير إلى حدوث اتصال صليبى بالأحباش إلا أنه كان من المحتمل حدوث ذلك لو قدر لحملة أرناط أن تنجح (انظر ، بحث « دولة بنى أيوب باليمن » ص ٥٩ و ٩٢ و ٩٣) .

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

ابن بهادر المؤمنى ، محمد بن محمد (القرن التاسع الهجرى)
— فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر (جزءان) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢٩٩ تاريخ .

الجندى ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (تـ ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
— السلوك فى طبقات العلماء والملوك (٣ أجزاء) مخطوط بدار الكتب رقم ٩٩٦ تاريخ .

الخزرجى ، أبو الحسن على بن الحسن (تـ ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م)
— طراز الزمن فى طبقات أعيان اليمن (جزءان فى مجلد) . مخطوط بدار الكتب رقم ١٢٦٥٧ تاريخ .
— العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك . مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٢٦٥ ب .

الدمشقى ، بدر الدين محمد بن أبى بكر بن قاضى شهبة (تـ ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)
— الدر الثمين فى سيرة نور الدين . مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٣٣٦ ب .

ابن الديبع ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن على (تـ ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م)
— بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد . مخطوط بدار الكتب رقم ١١ م تاريخ .

— قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون . مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٨١٩ ب .

الشرفى ، أحمد بن محمد بن صلاح (تـ ١٠٥٥ هـ / ١٦٤٥ م)

— اللآلى المضية فى أخبار أئمة الزيدية . مخطوط بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

العينى ، بدر الدين محمود بن أحمد (تـ ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)

— عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان . مخطوط مصور بدار الكتب (٦٩ مجلدا) رقم ١٥٨٤ تاريخ .

العمرى ، شهاب الدين أبى العباس أحمد بن فضل الله (تـ ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

— مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (حـ ٢) . مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥٩ معارف عامة .

الكبسى ، محمد بن إسماعيل (تـ ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م)

— اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية . مخطوط بدار الكتب رقم ٤١٦٣ تاريخ .

با مخرمة ، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن على (تـ ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م)

— قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر (٦ مجلدات) . مخطوط ١٦٧ تاريخ

النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (تـ ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)

نهاية الأرب فى فنون الأدب (٣١ جزءا) مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (تـ ١٠٠٥هـ/١٦٩٣ م)

أنباء الزمن فى تاريخ اليمن . مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٤٧ تاريخ .

ثانياً : المطبوعات :

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على (تـ ٦٣٠ هـ / ١٢٢٨ م)

— الكامل فى التاريخ (١٢ جزءا) . القاهرة ١٣٠١ هـ

بروكلمان ، كارل

— تاريخ الشعوب الإسلامية . الطبعة الثانية . بيروت ١٩١٣ .

ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف (تـ ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)

— النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٣١

ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتانى (تـ ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)

— الرحلة ، تحقيق الدكتور حسين نصار . القاهرة ١٩٥٥

الجرافى ، القاضى عبد الله بن عبد الكريم

— المقتطف فى تاريخ اليمن . القاهرة ١٩٥١

جمال الدين الشيال (الدكتور)

— تاريخ مصر الإسلامية ١٩٦٧ .

حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود

— الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن . القاهرة ١٩٥٥

الحيمى ، الحسن بن أحمد

— سيرة الحبشة ، نشر الدكتور مراد كامل القاهرة ١٩٥٨

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (تـ ٨٠٨ هـ / ١٤٠٨ م)

— العبر وديوان المبتدأ والخبر . بولاق ١٢٨٤ هـ

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد (تـ ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦ أجزاء) . القاهرة ١٩٤٨ .

زبارة ، محمد بن محمد بن يحيي الحسنى الصنعانى

— أئمة اليمن ، تعز ١٩٥٢ .

الزبيدى ، السيد محمد المرتضى (تـ ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م)

— تاج العروس فى شرح القاموس ، ١٣٠٦ — ١٣٠٧ هـ .

سبط ابن الجوزى ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى (تـ ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)

— مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان جـ ٨ . حيدر أباد ، الهند ١٩٥١ .

سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور)

— العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف بن يعقوب الموحدى بمجلة كلية الآداب بالإسكندرية المجلد ٦و٧ .

السيد الباز العرينى (الدكتور)

— مصر فى عصر الأيوبيين . القاهرة ١٩٦٠ .

أبو شامة ، شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (تـ ٦٦٥ هـ/١٢٦٧م)

— كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين . القاهرة ١٢٨٧ هـ .

ابن الشحنة ، محب الدين أبى الوليد محمد بن كمال محمد الحلبي (تـ ٨١٥هـ/١٤١٢م)

— روض المناظر في أخبار الأوائل والأواخر — مطبوع على هامش الجزء التاسع من تاريخ ابن الأثير . القاهرة ١٢٩٠ هـ .

ابن شداد ، القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن نافع (٦٣٢هـ/١٢٣٤م)

— النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق الدكتور الشيال ، ١٩٦٤

ابن العديم ، عمر بن أحمد بن هبة الله (تـ ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢ م)

— زبدة الحلب من تاريخ حلب . دمشق ١٩٥٤

عمارة ، أبو الحسن نجم الدين الحكمي (تـ ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م)

— تاريخ اليمن ، لندن ١٨٩٢

العمري ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيي بن فضل الله (تـ ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م)

— التعريف بالمصطلح الشريف . القاهرة ١٣١٢ هـ .

أبو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي (تـ ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م)

— المختصر في أخبار البشر (٤ أجزاء) الاستانة ١٢٨٦ هـ

الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (تـ ٨١٧ هـ/١٤١٤م)

— القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (تـ ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م)

— البداية والنهاية (١٤ جزءا) . القاهرة ١٣٤٨ هـ — ١٣٥٨ هـ

محمد جمال الدين سرور (الدكتور)

— النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب . القاهرة ١٩٦٤ .

محمد عبد العال أحمد
— دولة بنى أيوب فى اليمن ، رسالة ماجستير كلية الآداب — جامعة الإسكندرية ١٩٦٨

محمد مصطفى زيادة (الدكتور)
— حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة . القاهرة ١٩٦١

المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)
— الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر الدكتور الشيال ، ١٩٥٥
— السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر الدكتور زيادة ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ .
— المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (٤ أجزاء) . القاهرة ١٣٢٤ — ١٣٢٦ هـ

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (تـ ٧١١ هـ / ١٣١١ م)
— لسان العرب . بيروت ١٩٥٦ .

ابن واصل ، جمال الدين بن سالم (تـ ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م)
— مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب . نشر الدكتور الشيال ، ١٩٥٣ — ١٩٦٠

ابن الوردى ، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر (تـ ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
— تاريخ ابن الوردى (جزءان) القاهرة ١٢٨٥ هـ .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (تـ ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م)
— غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى — تحقيق الدكتور سعيد عاشور — ١٩٦٨ .

— Arnold (T. W.) : The Caliphate. Oxford, 1924.

— De Gaury (G.) : Rulers of Mecca. London, 1951.

— Derenbourg (H.) : Oumara du Yémen, sa vie et son œuvre 2 vols. Paris, 1897 - 1902.

— Kammerer (A.) : La Mer Rouge. Le Caire 1929.

— Kay (H. C.) : Yaman; its early Mediaeval History. London, 1892.

— Lamb (H.) : Ths Crusades; The Flame of Islam. London, 1931.

— Lane-poole (St.) : A history of Egypt in the Middle Ages. London, 1936.

— Saladin and the Fall of The Kingdom of Jerusalem. London 1898.

— Marin (M.) : Histoire de Saladin; Sultan D'Egypte et Syrie.

— Wiet (G.) : Histoire de la Nation Egyptienne. Vol. I V (L'Egypte Arabe.) Paris, 1926.

حاشيتان خفيفتان على

كتاب المخطوطات العربية

مخطوطتان منسوبتان إلى أبي عبيدة خطأ

الدكتور نهاد الموسى

يستوى لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، فى المكتبة العربية ، فهرست من التواليف طويل لافت ، يمتاز به الرجل ويفوق ؛ فقد بلغت تصانيفه المائتين واستوعبت علوم العرب فى القرن الثانى .

وليس بين أيدينا ، حتى الآن ، من تواليف الرجل غير خمسة : مجاز القرآن ، ونقائض جرير والفرزدق ، والخيل ، وتسمية أزواج النبي (ص) وأولاده ، والعقفة والبررة . . . ونسخة مشوشة من مقاتل الفرسان بالمتحف البريطانى . ولا يزال ثلث تصانيفه مجهول العناوين ؛ فقد استقام لى ، فى محاولة تحقيق شاملة ، أن أقف على عنوانات ١٣٣ من تآليفه لم ينكشف لى ، على طول البحث واستيعابه ، غيرها .

وهذه لمحة ، من نظرة شاملة إلى نصيب مكتبة الرجل من جهود المحدثين ، لمحة أريد بها إلى نفى ما وقع من خَلْطٍ فى نسبة بعض المؤلفات إلى أبى عبيدة ، سعياً فى تجريد مكتبة الرجل وضبطها وتحقيق عنوانات تواليفها :

١ — طبقات الشعراء :

مخطوط نسب إلى أبى عبيدة حينا من الدهر ، فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وأصلُ هذه النسبة — فيما أقدّر — إشارة بل إشارات أوردها لويس شيخو فى شعراء النصرانية .

فقد قال شيخو بعد ترجمة وجيزة للأخنس بن شهاب التغلبى ، وبعد أن أثبت ما جمع من قصيدته البائية المشهورة : « تلخيص هذه الترجمة عن كتاب طبقات الشعراء لأبى عبيدة ، وعن كتاب شعر قديم ، وكلاهما خطّ قديم وعن معجم البلدان لياقوت ، والحماسة »[1] .

ثم ذكر شيخو طبقات الشعراء ، غير مرّة ، على هذا النحو : طبقات الشعراء لأبى عبيدة ، مشيراً إلى أنّه نقل عنه[2] .

ولعلّ مما كان يزيد الإيهام بنسبة الكتاب إلى أبى عبيدة أن صاحب شعراء النصرانية كان يورد روايات كثيرة عن أبى عبيدة خلال ترجماته التى يذكر أنه انتفع فيها بكتاب طبقات الشعراء[3] .

واعتمد المحدثون على إشارات شيخو ومواقف الإيهام فى كتابه ، فظنّوا أنّ لأبى عبيدة كتابا بهذا العنوان ، فى خزانة الآباء اليسوعيين (ومنهم شيخو) !

فكتب عبد الله مخلص من حيفا إلى مجلة المجمع العلمى العربى تقدات تعرّض فيها لكتب طبقات الشعراء وما يَعْرِض من اللبس فى أمرِ نسبتها إلى مؤلفيها ، وقال : « وفى خزانة كتب الآباء اليسوعيين فى بيروت كتاب

---

(١) شعراء النصرانية ١٨٧ .

(٢) شعراء النصرانية ١٤٧ ، ٧٤٥ ، ٨٨٢ . وفى كل هذه المواطن ذكر أنه نقل عنه .

(٣) شعراء النصرانية ٧٣٣ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣

طبقات الشعراء لأبي عبيدة معمر بن المثنى . . . وهو من النوادر إن لم يكن النسخة الوحيدة »[1] .

وتابع (مخلصاً) بروكلمان على الانتفاع بإشارات شيخو وإيهاماته فنسب إلى أبي عبيدة كتابا عنوانه طبقات الشعراء مخطوطا في بيروت[2] .

وأكبر الظنّ أن جرجي زيدان كان تورط بإشارات شيخو ، أيضاً ، في كتابه عن تاريخ آداب اللغة العربية ، وحسب كما حسب غيره أنّ لأبي عبيدة كتاباً مخطوطاً عنوانه طبقات الشعراء ، في خزانة الآباء اليسوعيين !

أمّا الطريف ، مع هذا كلّه ، فهو أن نجد لويس شيخو نفسه يقول في تعقيبه على كتاب جرجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية) :

« كتاب طبقات الشعراء الذي بين مخطوطات مكتبتنا الشرقية ليس هو لأبي عبيدة كما ظن (يعني زيدان) . وإنما هو نسخة من كتاب ابن قتيبة الشهير مع بعض اختلافات في الروايات وزيادات شتى » .[3]

وهكذا ينقض لويس شيخو ما كان أوهم به ، وينفي هو نفسه ما كان أثبت !

والحق ، من بعد ، أن كتاباً بهذا العنوان لم يذْكَرْ لأبي عبيدة ، قبلا . والذي تذكره لأبي عبيدة كتب التراجم والفهارس ، في هذا الباب ، كتاب عنوانه : الشعر والشعراء[4] ، وحسب ! !

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١٢ ج ٧ ص ٥٥٤

(٢) تاريخ الأدب العربي (ترجمة النجّار) ٢/١٤٣

(٣) مجلة المشرق ج ١٥ ص ٦٠٣ (١٩١٢ م)

(٤) بهذا العنوان ذكره ابن النديم في الفهرست ٥٣ والقفطي في الإنباه =

٢ — قصيدة على اللام :

وهذه القصيدة أثر آخر نسبه بروكلمان إلى أبي عبيدة[1] ، وعده في الباقي من مؤلفات الرجل ، ومعوله في ذلك ما ورد في فهرست مكتبة برلين تحت رقم (٧٥٣٥ : ٢ ، ٣) !

والذي نجده في فهرست آلورد (AHLwAROT) أن هذه القصيدة للأصمعي لا لأبي عبيدة !

وأيضاً ، فحين بعثت إلى مكتبة برلين . . . وأرسلت إلى فُلَيْم (ميكرو فيلم) الصفحات التي يعنيها الرقم المذكور وتفصيلاته . . . وجدت قصيدة على اللام تُنْسَبُ للأصمعي ، مروية على نسق الرواية في ألف ليلة وليلة . ويبدو الأصمعي في سياق رواية القصيدة واحداً من هذه الشخصيات البارعة في المنادمة والمسامرة ، وهو ما اشتهر به في الواقع التاريخي لحياته . فالقصيدة — إن صحت لها نسبة — أقرب إلى الأصمعي فضلا عن أنها منسوبة إليه صراحة .

= ٣/٢٨٥ وابن خلكان في الوفيات ٤/٣٢٦ والصفدي في الوافي ٢٦/٢٦ وابن شاكر في عيون التواريخ ٣/٢٥٦ والبغدادي في إيضاح المكنون ٣/٣٠٦ وهدية العارفين ٢/٤٦٦

(١) تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ٢/١٤٤

صناعة الفهارس

فى المخطوطات العربية المنشورة

بقلم : محمد عبد الغنى حسن

تطورت صناعة الفهارس فى المخطوطات العربية التى يُسعدها الحظ بالنشر تطورا ملحوظا منذ قام الاهتمام بنشر التراث العربى إلى يومنا هذا . وصارت الفهارس المتنوعة للمخطوط المنشور عملا ضروريا لا يقتصر على فهرس واحد أو اثنين . بل يتعدى ذلك إلى مجموعة من الفهارس المتعددة الموضوعات ، التى تجعل الاستفادة من المخطوط المنشور شيئا ميسرا ، وأمرا مسهلا .

وإلى عهد قريب آثر بعض المحققين السلامة ، ولجأوا إلى فهرس واحد لاغير للكتاب المخطوط الذى يقومون بتحقيقه ، ولم يُعنُوا أنفسهم بالتسهيل على جماهير القراء والباحثين والدارسين بصنع فهارس متعددة للكتاب ، تجعل البحث فيه عملا ميسور المنال . وأمامنا على ذلك مثال نذكره على سبيل الحصر . فإن كتاب (مرآة الزمان : فى تاريخ الأعيان) للعلامة شمس الدين ابن قزاوغلى التركى ، الشهير بسبط ابن الجوزى المؤرخ . قد نُشر الجزء الثامن منه بعناية مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٩١٥ م . ولم يهتم محققه الفاضل إلا بصنع فهرس واحد بأسماء الرجال الذين وردت أخبارهم فى الكتاب ، مع أن الكتاب بما اشتمل عليه من شعر ، وأمكنة ، وفرق ، وطوائف ، ونوادر ، وأخبار ، كان يحتاج إلى أكثر من فهرس واحد ، حتى يَسْهُل الانتفاع به ، والرجوع إليه بأيسر مؤونة .

ولعل فهرس الأعلام الذى جاء فى طبعة الوهبية لكتاب (خلاصة الأثر ، فى أعيان القرن الحادى عشر) للمحبي لم يكن من عمل محقق الكتاب الذى نشر سنة ١٢٨٤ هـ . فإن المؤلف نفسه قد رتَّب الأعيان المترجم لهم فى متن كتابه على وَفْق حروف المعجم ، وجاءت الترجمة لهم واحدا إثر واحد على ترتيب حروفهم . ومن هنا لم يَصْنَع المحقق أكثر من نقل الأعلام فى جداول أصبحت فهرساً للكتاب . ويقابل هذا التقصيرَ فى عمل فهرسِ (لخلاصة الأثر) تقصيرٌ آخر فى تحقيق متن الكتاب لا نتعرض له هنا لأنه ليس من سبيل موضوعنا(١) .

وقد يتنوع حظ كتاب واحد من العناية بفهرسه ، ويختلف نصيبه من الاهتمام بالفهارس تبعاً لمشيئة محققيه وميولهم . فإن (رسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى قد تناولتها طبعتان : طبعة قديمة لدار المعارف بتحقيق المرحوم الأستاذ كامل كيلانى ، وطبعة حديثة للدار نفسها بتحقيق الدكتورة بنت الشاطىء نشرت سنة ١٩٥٠ . ولكن طبعة كامل كيلانى لم تهتم إلا بعمل فهرس واحد لموضوعات رسالة الغفران ، على حين أن طبعة الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ بنت الشاطىء ـ قد اهتمت بعمل ستة فهارس للموضوعات ، وأعلام الأشخاص ، والأمم والقبائل والطوائف ، والأماكن ، والحيوان والنبات ، والكتب الواردة فى رسالة الغفران . وهى فهارس جعلت الإفادة من الكتاب أمراً محققاً .

وإذا كان بعض محققي المخطوطات قد اكتفى بصنع فهرس واحد للكتاب

---

(١) لقد نشر وحقق (خلاصة الأثر) منذ مائة عام ، ولهذا كان من العدل والإنصاف أن نراعى ظروف التحقيق والنشر فى العصر الذى طبع فيه .

الذى ينشره، فإن بعضهم قد لجأ إلى التوسع فى الفهارس والتنوع فى موضوعاتها، والإكثار من عددها . وتحضرنا على هذا بضعة أمثلة مما نُشر أخيراً من كتب التراث العربى، فإن كتاب (العقد الفريد) فى الطبعة التى أصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٣ قد ظفر بجزء خاص بفهارس الكتاب يشتمل على اثنى عشر فهرساً، وقد وقع جزء الفهارس هذا فى ست وتسعين ومائتى صفحة، وهو من صنع الأستاذين المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى، ومحمد رشاد عبد المطلب . أما كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ الذى قام بتحقيقه الأستاذ عبد السلام محمد هارون، فقد صنع له خمسة عشر فهرسا عامًّا تبلغ صفحاته خمسا وثمانين ومائتى صفحة، وتحتل شطرا كبيرا من الجزء الرابع من الكتاب . ولهذا لم تقع فى مجلد واحد مستقل كما حدث فى فهارس (العقد الفريد) . أما الفهارس العامة لكتاب (الحيوان) للجاحظ، الذى حققه الأستاذ عبد السلام محمد هارون، فيبلغ عددها ستة عشر فهرسا، وتزيد صفحاتها على الأربعمائة صفحة، ولكنها - مع هذا - لم تقع فى مجلد مستقل قائم بذاته . وإنما وقعت فى شطر كبير من الجزء السابع من الكتاب . وقد بلغت الفهارس العامة المتنوعة للجزء الثامن من كتاب (الإكليل) للهمدانى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ - سنة ٩٤٥ م ثمانية عشر فهرسا عُنى الأب أنستاس مارى الكرملى بصنعها وترتيبها، حتى تتحقق المنفعة من هذا الكتاب الثمين . ونستطيع من نظرة واحدة سريعة على عناوين الفهارس التى وضعها الأب أنستاس مارى الكرملى لكتاب (الإكليل) أن نتبيَّن الجهد العظيم الذى بذله فى إخراجها . والروحَ الفنيةَ والموضوعية التى أوحت إليه عمل هذه الفهارس . وبيانها كالآتى : فهرس فصول الكتاب، وفهرس القواعد العربية، وفهرس المعمَّرين من العرب، وفهرس الشعراء، وفهرس القوافى،

وفهرس المحدثين والرواة ، وفهرس عمرانى ، وفهرس الأسداد ، وفهرس القبور والمدافن فى بلاد اليمن ، وفهرس الجبال ، وفهرس الحصون والقلاع ، وفهرس القصور ، وفهرس الألفاظ العربية ، وما يقابلها بالفرنسية ، وفهرس التآليف والمطبوعات الوارد ذكرها فى متن الكتاب وحاشيته ، وفهرس مفتاح المغلق من الألفاظ الغريبة ، وفهرس الأمثال والأقوال المأثورة ، وفهرس المواضع ، وفهرس أسماء الرجال وهو آخر فهارس الكتاب . ولا شك أن فهارس (الإكليل) تعدُّ عملا رائعا ، ومشاركة جليلة فى تحقيق متن الكتاب وتقديمه فى صورة ميسرة للمراجع والدارس . أما كتاب (حلية الفرسان وشعار الشجعان) لابن هذيل الأندلسى الذى قمنا بتحقيقه ونشره مطبوعاً لأول مرة فى دار المعارف سنة ١٩٥١ فقد أعاننا التوفيق على أن نصنع له سبعة عشر فهرساً لم يَفُت الأستاذَ المحققَ عبد السلام محمد هارون أن يشير إليها فى خلال كتابه الذى ألفه عن (تحقيق النصوص ونشرها) ، وهو أول كتاب عربى يعالج هذا الموضوع ، ويوضّح أسسه وطرائقه[(١)] .

والحق أن تنوع الفهارس العلمية للمخطوطات التى تنشر ، يدلُّ على مدى اهتمام المحقق بالقارئ والباحث وتيسير سبل البحث والمراجعة له ، وتوفير الوقت له فى عالم قد ازدحمت فيه الأعمال ، وضاقت الأوقات إلى حد لا يحتمل . على أن التفتن فى موضوعات هذه الفهارس ليس ابتداعا ولا موضوعا لفخر ، ولكنه مشاركة من المحقق ، وإحساسٌ جدِّىٌّ منه بالصعوبات التى قد تلقى القارئ ، ومحاولةٌ منه لتذليلها . وإلا فبم عُنِىَ الأبُ أنستاس مارى الكرملى نفسه بأن يصنع للإكليل فهرسا بالمعمَّرين من العرب ، وفهرساً بالمسائل

---

(١) وللدكتور صلاح الدين المنجد رسالة جيدة على إيجازها فى (قواعد تحقيق النصوص) نشرها معهد المخطوطات .

النحوية والصرفية التي وقعت عَرَضا فى الـكتاب ، والتي قد يفيد فيها الباحث بالرجوع إلى الفهارس ، فيقع على المسألة النحوية فى صفحتها . . . ؟ وكذلك كان القصد حين عنَّيْنا النفس بعملِ فهارسَ لأسماء الفَرس ، وألوان الخيل ، وشيات الخيل ، وغرر الخيل ، والعيوب الخلقية فى الخيل مثلا فى كتاب (حلية الفرسان) لابن هذيل الأندلسى .

وقد بلغ من إرادة التيسير عند بعض المحققين أنهم صنعوا (فهرسا للفهارس العامة) ، حتى لا يضيع القارئ والباحثون فى متاهاتها . وحتى لا يفقدوا الوقت بتقليب أوراق الفهارس ورقة ورقة . ونجد مثل هذا التيسير في فهارس كتاب (الحيوان) للجاحظ التى صنع لها المحقق فهرسا للفهارس كان ترتيبه السادس عشر والأخير من فهارس الـكتاب ... على أن المحقق نفسه فى تحقيقه لـكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ لم ينصرف إلى تدوين (فهرس للفهارس) ، مع أن عددها يدانى عدد فهارس كتاب الحيوان . وكان أولى أن يجرى فى الـكتابين على حال واحدة .

ولا يكاد يخلو تحقيقٌ حديثٌ لمخطوط قديم من وجود فهرس للأعلام . ولا نحصى فى سبيل ذلك كل ما نشر من مخطوطات تشتمل على فهارس للأعلام ، ولـكنا نذكر على سبيل المثال لا غير (أمالى المرتضى) ، و (مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان) لشمس الدين بن طولون الذى حققه الدكتور محمد مصطفى ، و (طبقات الصوفية) للسُّلمى ، و (ديوان الأعشى) ، و (الإمتاع والمؤانسة) للتوحيدى ، و (مآثر الإنافة فى معالم الخلافة) للقلقشندى وهو من منشورات وزارة الإرشاد والأنباء فى الـكويت ، و (أخلاق الوزيرين) لأبى حيان التوحيدى ، و (الحيدة) للإمام عبد العزيز

ابن يحيى الكنانى ، وهما من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق ، و (الأمالى) لأبى على القالى ، و (لطائف المعارف) للثعالبي وهو من تحقيق الأستاذين إبراهيم الإبيارى وحسن كامل الصيرفى . و (العقد الفريد) لابن عبد ربه ، و (الأغانى) للأصفهانى ، و (البيان والتبيين) للجاحظ .

ولقد جرت عادة المحققين أن يكون للأعلام والرجال فهرس قائم بذاته ، وللأمكنة والبلاد فهرس آخر مستقل ؛ فلا يكون هناك فهرس واحد يجمع بين أعلام الأشخاص ، وأسماء الأمكنة والبلاد فى مكان واحد . ولم نجد من يخالف هذا العرف المألوف فى النشر وصناعة الفهارس إلا الباحثة المستشرقة جانين سورديل حين قامت بتحقيق كتاب (الإشارات إلى معرفة الزيارات) للهروى ، وهو من منشورات المعهد الفرنسى بدمشق سنة ١٩٥٣ ، فقد صنعت للأعلام والأمكنة فهرسا هجائيا واحدا ، ولهذا ليس من المستغرب فى هذا الفهرس أن تقع على اسم مدينة حمص بجوار اسم حمزة الزبيدى ، وأن تقع على اسم رابعة العدوية المتصوفة بجانب اسم عبدة بلدة رأس العين . . .

ومن المحققين من يُفصِّل فهرس الأعلام ويقسمه تقسيماً طائفياً أو مهنياً ، أو طبقياً ؛ فللشعراء وحدهم فهرس خاص بهم ، وللمعمَّرين من الرجال فهرس خاص بهم ، وللمحدثين والرواة فهرس خاص بهم ، وللرجال ـ على العموم ـ فهرس خاص بهم ، كما صنع الأب أنستاس مارى الكرملى فى تحقيقه لكتاب (الإكليل) للهمدانى .

وقد اهتم ناشرو التراث العربى اليوم ومحققوه بصنع فهرس الأماكن والبلدان والمواضع التى وردت فى متن المخطوط المنشور ، ويحضرنا على سبيل التمثيل لذلك الكتب التالية : (لطائف المعارف) للثعالبى ، و (البرهان

فى علوم القرآن) لبدر الدين الزركشى ، و (أخلاق الوزيرين) لأبى حيان التوحيدى ، و (الحيدة) للكنانى ، و (ثمار القلوب) للثعالبى ، و (ديوان الأعشى) ، و (مفاكهة الخلان) للمؤرخ ابن طولون الدمشقى .

ويأتى فهرس القبائل والأمم والجماعات قريبا من فهرس الأعلام أو مجاوراً له ، ولا يبعد كثيرا عن فهرس البلدان والأماكن . وقد يُدخل بعض المحققين الفِرقَ والمذاهب فى فهرس القبائل والأمم . وممَّن صنع ذلك الدكتور جميل صليبا وهو ينشر كتاب (الحيدة) للإمام عبد العزيز بن يحيى ، والأستاذان محمد فؤاد عبد الباقى ومحمد رشاد عبد المطلب وهما يصنعان فهارس (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسى ، والأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم الذى قام بتحقيق كتاب (سرح العيون ، فى شرح رسالة ابن زيدون) لابن نباتة .

وقد افتنَّ محققو المخطوطات اليوم فى عمل الفهارس الفنية المتنوعة التى لا مجال لتحديدها أو حصرها ، وإنما هى تختلف باختلاف وحى المخطوط المنشور وما توحى — موضوعاته ومسائله . ولا شك أن المحققين العرب قد أفادوا من جهود المستشرقين فى هذا الباب وزادوا عليها ونوَّعوا فيها ... ففى كتاب (المفضليات) للمفضل الضَّبى ، الذى قام بتحقيقه وشرحه الأستاذان المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، نرى فهارس فنية تحليلية للأوصاف والتشبيهات والفخر والمعانى العامة التى وردت فى القصائد التى يرويها مؤلف الكتاب أو جامعه الأصلى . وقد أحسَّ المحققان الروحَ الابتكارية فى عملهما هذا ، فعلقا على الفهارس الفنية التى صنعاها بما يفيد أن هذه الفهارس التحليلية للمبتكرة هى من صميم فنون الشعر ، إذ ترشد القارئ إلى مواضع للمعانى التى بها يتفاضل الشعراء فى البلاغة والإبانة ، وهى للمعانى التى بها يكون الشعر شعراً ، وعقبا على هذا البيان بقولهما : (ولن تجد لهذه

الفهارس مثيلا فى كتاب من قبل) . ولم يَطُل الأمد على ظهور (للفضّليات) بفهارسها للمبتكرة حتى رأينا (ديوان الأعشى الكبير) يصدر عن مكتبة الآداب بالجاميز بتحقيق الدكتور محمد حسين أستاذ الأدب العربى بجامعة الإسكندرية وفيه فهرس بالفنون الشعرية والموضوعات ، وفهرس آخر للمعانى والصور الشعرية فى ديوان الأعشى ، بالإضافة إلى الفهارس العادية المألوفة للأعلام ، والقبائل ، والأمم ، والأماكن ، والأيام ، واللغة ، والقوافى .

على أن (اللغة) ، والألفاظ والأبحاث اللغوية ، والمسائل العربية قد نالت من اهتمام بعض المحققين ما أثروا به باب الفهارس الفنية للمخطوطات المنشورة . ففى (المفضليات) فهرس مبتكر للحروف والألفاظ اللغوية التى لم تذكر فى المعاجم ، ولكنها جاءت فى شعر المفضليات . وصنع الإبيارى وحسن كامل الصيرفى فهرساً للكلمات فى كتاب (لطائف المعارف) للثعالبى[1] كما صنع محقق ديوان الأعشى فهرساً للغة . وحين صنع محمد بن تاويت الطنجى فهارس لكتاب (أخلاق الوزيرين) وضع فهرساً للألفاظ وأسماه (فهرس كلمات ذات دلالات خاصة) ، وصنع محققا كتاب (الفائق) فى غريب الحديث للزمخشرى فهرساً للأبحاث اللغوية والنحوية ، وفهرساً آخر للألفاظ اللغوية مرتبة ، وصنع محقق كتاب (مجالس ثعلب) فهرساً لمسائل العربية ، وفهرساً آخر لما لم يُذكر فى المعاجم من الألفاظ الواردة فى الكتاب . وافتنّ محقق كتاب (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس فى فهرس اللغة الذى وضعه لهذا الكتاب الثمين ، فقسّمه إلى فهرس لما ورد من الألفاظ اللغوية فى غير مادته ،

---

(١) وكذلك صنع حسن كامل الصيرفى فهرسا للكلمات فى تحقيقه لكتاب «طيف الخيال» للشريف المرتضى .

وفهرس للألفاظ غير العربية ، وفهرس لما فات المعاجم المتداولة أو انفرد به ابن فارس .

والحق أن هذه الفهارس اللغوية ضرورية جداً للباحث ، والأديب ، واللغوى ، وفيها تسجيل لألفاظ عديدة لم تذكرها معاجم اللغة فى مواردها ؛ ولكنها جاءت فى الاستعمال ، فكان لابد من تسجيلها فى فهرس واحد ، وعدم الاقتصار على المرور عليها مراً سريعاً فى متن الكتاب .

ويتصل بفهرس اللغة عدد من الفهارس الخاصة بألفاظ الحضارة ، والمصطلحات الفنية ، وأسماء الوظائف والحرف ، والمباحث الكلامية واللغات المرتبطة بموضوع معين ؛ كلغات الميسر والقداح التى وردت فى كتاب (الميسر والقداح) الذى حققه وعلق عليه وصنع فهارسه المرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب ، وهو من منشورات المكتبة السلفية سنة ١٣٤٣ هـ ، وغير ذلك من الموضوعات اللفظية والاصطلاحية والموضوعية التى لا يهدأ بال المحقق الأصيل حتى يجمعها ويرتبها ترتيباً هجائياً ، ويصنع لها فهرساً خاصاً بها . فنجد فى كتاب (الذخائر والتحف) للقاضى الرشيد ابن الزبير المنشور بالكويت سنة ١٩٥٩ فهرساً بألفاظ الحضارة التى وردت فى هذا الكتاب ، والتى لها دلالات خاصة فى العصور التى استعملت فيها ، وقد عَنَّى الدكتور محمد حميد الله — محقق الكتاب — نفسَهُ بعمل هذا الفهرس الثمين . وفى كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ نجد محققه الفاضل الأستاذ عبد السلام هارون يصنع فهرساً للحضارة ويشمل نظم العرب الاجتماعية والسياسية والمالية والخلقية والتعليمية . وفى كتاب (مفاكهة الخلان) لابن طولون الدمشقى نجد فهرساً نفيساً للكلمات والمصطلحات اللغوية والفنية ، كما نجد فيه فهرساً ثميناً آخر بأسماء الوظائف والحرف فى الفترة

التى يؤرخ لها المؤلف مع بيان من باشروها[1] . وهو فهرس نجد فيه كثيراً من الوظائف التى كانت مخصصة فى مصر والشام فى القرن العاشر الهجرى عقب الفتح العثمانى من أمثال : أتابك العساكر ، واستادار السلطان ، وأمير آخور ، وخازن دار ، ودفتردار ، ودوادار السلطان ، وكاتب الجرايد ، وكاشف الأوقاف وغيرها . وفى كتاب (الحيدة) للكنانى نجد فهرساً للمصطلحات فى علمى التوحيد والكلام ؛ كالتوهم ، والجدل ، والحق ، والتأويل ، والكائن ، والمحال ، والوجود ، والوحى . وفى كتاب (الحيوان) للجاحظ نجد المحقق يصنع الفهرس الثالث عشر للكتاب فى المباحث الكلامية التى جاءت فى غضون (الحيوان) ، كالاستدلال ، والاستحالة ، والدهرية ، والصوفية ، والهيولى ، والمعرفة ، والمنزلة بين المنزلتين . . . وفى كتاب (طبقات الصوفية) للسلمى نجد محققه الأستاذ نور الدين شريبة يصنع فهرساً ـ أو كشافاً ـ للمصطلحات الصوفية التى وردت فى الكتاب .

وهذه الفهارس المتخصصة تكون ألصق بكتبها التى جاءت فيها ، كفهرس اللغة فى كتب اللغة ، وفهرس المصطلحات الكلامية فى كتب الكلام وفهرس البيان والبلاغة فى كتب البيان . كالذى فعله الأستاذ عبد السلام هارون فى فهرس البيان والبلاغة فى كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ ، وهو من ابتكارات الأستاذ عبد السلام الطريفة المفيدة .

وبمناسبة الابتكار والطرافة لن يفوتنا فى هذا المجال ما صنعه محقق كتاب (الحيوان) من فهرس لأنواع الحيوان ، وفهرس آخر لأعلام الحيوان ؛

---

(١) وقد وضع المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة فهرسا للألفاظ الاصطلاحية فى تحقيقه لكتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزى ، وهو من الفهارس الاصطلاحية التاريخية النفيسة .

وندع محقق الكتاب يحدثنا عن فهرس أنواع الحيوان بعبارته قائلا : (القصد من هذا الفهرس أن يتمكن القارئ من جمع معارف منظمة فى كل نوع من أنواع الحيوان ، على أسلوب علمى ، بحيث لا يلقى صعوبة فى البحث وقد وجدت أن أفضل طريقة لتنظيم هذه المعارض أن تكون على الترتيب التالى بقدر الإمكان (١) تسمية الحيوان وبيان جنسه وأنواعه وأشباهه (٢) الكلام فى أعضائه وتطوراته وألوانه (٣) بيان طعامه وشرابه وسلاحه وصلاته وصيحته ونفعه وضرره (٤) الكلام فى تناسله وطباعه وتعليمه وأمراضه وعمره (٥) بيان موطنه وأثر الطبيعة فيه وعلاقته بغيره من الحيوان).

ولعل من أطرف الفهارس وأكثرها جدوى ما جاء فى فهارس كتاب (ثمار القلوب) للثعالبى الذى حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ونشر سنة ١٩٦٥ ، فقد صنع المحقق فهرساً هجائياً للمضاف والمنسوب تهدِى إلى الاستعمال المطلوب بأيسر مشقة ، ويحيل على الصفحة التى ورد فيها الاستعمال ، مع رقم المثل أو الصيغة نفسها ، فعبارات مثل : بَرْد العَجُوز ، وبكاء السرور ، وتفاريق العصا ، وثقل الرصاص ، وجناح البعوضة ، وجهد المقل ، وحمير مصر ، وخلاخيل الرجال ، وظباء مكة ، وعجائز الجنة ، وعُقاب الجو ، ولبن الطير ، ونار المجوس وغيرها من مئات الاستعمالات والتعابير ذوات الدلالات الخاصة لن يجد الأديب والباحث صعوبة فى الوصول إليها عن طريق هذا الفهرس الجليل .

ولقد كان حظ الشعر والشعراء غير مكدود ولا محدود فى الفهارس الحديثة التى تشتمل عليها المخطوطات التى تنشر اليوم فهناك فهرس للأشعار ، وفهرس للأرجاز ، وفهرس لأنصاف الأبيات ، وفهرس للشعراء أنفسهم . وفى فهرس

الأشعار والقوافى يذكر عادة اسم البحر واسم الشاعر والقافية ، كما فى (ثمار القلوب . وترتب القوافى هجائيًّا ، فتأتى القافية الساكنة أولا ، فالمفتوحة ، المضمومة ، فالمكسورة على الترتيب . ونجد بعض المحققين يهتمون بأنصاف الأبيات ، فلا يدعونها بدون فهرس يسجلها ويدل عليها ، كالذى نجده فى كتاب (لطائف المعارف) للثعالبى ، و (سرح العيون) لابن نباتة المصرى . و(ثمار القلوب) للثعالبى . وتبدو عناية الأساتذة محمد أبو الفضل إبراهيم ، وحسن كامل الصيرفى ، وأحمد محمد شاكر ، وعلى البجاوى بهذا النوع من الفهارس . وقد تضطرب أسماء البحور عند المحقق ، فيسمًّى بحرا باسم بحر آخر ، وقد لاحظنا مثل هذا الاضطراب فى تحقيق كتاب (اختصار القِدْح المعلًّى) لابن سعيد المغربى . وقد لا يذكر المحقق أسماء البحور التى جاء عليها الشعر ، كما صنعه محمد بن تاويت الطبخى فى كتاب (أخلاق الوزيرين) ، والمرحوم محب الدين الخطيب فى كتاب (الميسر والقداح) لابن قتيبة .

على أن من المحققين من يُغفل عمل فهرس للشعر والقوافى فى مجال تدعو الحاجة إلى عمل فهرس من هذا النوع ، كالذى صنعه الدكتور شوقى ضيف فى تحقيقه لكتاب (المغرب فى حلى المغرب) لابن سعيد المغربى ، فقد صنع للكتاب فهارس أربعة هى : فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن والبلدان ، وفهرس المصادر التى اعتمد عليها مصنفو كتاب المغرب ، وفهرس مراجع التحقيق ، وتَرَكَ فهرس الشعر الذى يشتمل عليه الكتاب وهو كثير جدا ، مع شدة حاجة الباحث إليه .

ولم يضنَّ بعض المحققين على الأرجاز الواردة فى المخطوطات التى تنشر بعمل فهرس لها ، كما صنع محققو كتب (أمالى المرتضى) و (معجم مقاييس

اللغة) و (سرح العيون) . وقد زاد محقق (ثمار القلوب) فأضاف إلى فهرس الأرجاز اسم قائل الرجز ، وكذلك صنع محقق كتاب (مجالس ثعلب) .

وقد تأتى فى المخطوط المنشور آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، فلا يفوت المحققَ الحديثَ أن يصنع لها فهرس آيات القرآن الكريم كما جاء فى (العقد الفريد) طبعة لجنة التأليف والنشر ، وفى كتاب (لطائف المعارف) للثعالبى ، وكتاب (مآثر الإنافة) للقلقشندى ، وكتاب (أمالى المرتضى) المسمى بـ (غرر الفوائد ، ودرر القلائد) للشريف المرتضى . ومن فهارس الأحاديث النبوية ما جاء فى (أمالى المرتضى) ، و (لطائف المعارف) و (مآثر الإنافة) و (أخلاق الوزيرين) لأبى حيان التوحيدى ، و (الكشكول) للعاملى .

ولم تعدم الأمثال العربية من يفهرس لها فى المخطوطات التى تنشر ، كما صنع محققو كتب : (أخلاق الوزيرين) و (معجم مقاييس اللغة) و (أمالى المرتضى) و (الفائق) للزمخشرى و (مجالس ثعلب) ، و (تلخيص البيان) للشريف الرضى و (طيف الخيال) للشريف المرتضى ، وفيه فهرس لمثلين اثنين لا غير . . .

أما أيام العرب — فى الجاهلية والإسلام — فلم يفت بعض محققينا المحدثين من يصنع لها الفهارس فى الكتب الخطية التى ينشرونها . كما فعل محققو كتب (الحيوان) و (الفائق) و (أمالى المرتضى) و (لطائف المعارف) و (ديوان الأعشى) ، و (إمتاع الأسماع) للمقريزى[1] .

بقى من الفهارس التى يصنعها المحققون اليوم لكتب التراث العربى

---

(١) أضاف الأستاذ محمود محمد شاكر محقق « إمتاع الأسماع » إلى فهرس الأيام فهرسا بغزوات الرسول وسراياه .

(فهرس الكتب) ، وهو قسمان : قسم يتناول الكتب والمؤلفات والمصنفات التى ذكرها المؤلف فى كتابه أو رجع إليها فى تصنيفه . وقسم يتناول الكتب والمراجع التى استند إليها المحقق فى تحقيقه أو شرحه للنص ، سواء أكانت تلك المراجع مخطوطة أم مطبوعة ، وسواء أكانت على هيئة كتب ، أم صحف ومجلات ، أم وثائق أخرى . ومن الكتب المخطوطة التى نشرت وزودها المحقق بفهارس الكتب التى ذكرها المصنف : كتاب (أمالى المرتضى) ، و (طبقات الصوفية) للسلمى ، و (لطائف المعارف) للثعالبي ، (والإمتاع والمؤانسة) لأبى حيان التوحيدى ، و (مآثر الإنافة) للقلقشندى ، و (أخلاق الوزيرين) للتوحيدى ، (والذخائر والتحف) للقاضى الرشيد ابن الزبير ، و (المغرب) لابن سعيد المغربى ، و (البيان والتبيين) للجاحظ ، و (سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون) لابن نباتة . وتختلف عدة الكتب التى رجع إليها المصنفون وذكروها فى خلال كتابهم تبعا لقراءات المؤلف ومطالعاته وتناول يده . فقد بلغت الكتب التى ذكرها الجاحظ فى كتابه (البيان والتبيين) ستة وعشرين كتابا . منها ثمانية كتب من تأليفه هو . وبلغت عدة الكتب التى ذكرها الجاحظ فى كتابه (البخلاء) ثمانين كتابا ، منها أربعون كتابا من تصنيفه والأربعون الباقية من تأليف غيره . وبلغت عدة الكتب التى ذكرها ابن نباتة المصرى فى صلب كتابه (سرح العيون) ستة عشر كتابا . وبلغت عدة الكتب التى جاءت فى متن كتاب (لطائف المعارف) للثعالبي أربعة وعشرين كتابا .

ومن الكتب التى وضع لها المحققون فهارس بأسماء مراجع التحقيق والنشر : (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) للثعالبي ، وقد ذكر فيها محققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ١١٣ مرجعا ؛ وكتاب (تلخيص البيان

فى مجازات القرآن) للشريف الرضى ، وقد رجعتُ فى تحقيقه إلى ستة وتسعين مرجعا ، وكتاب (المغرب فى حلى المغرب) لابن سعيد المغربى ، وقد رجع فيه محققه الدكتور شوقى ضيف إلى سبعين مرجعا ، وكتاب (لطائف المعارف) للثعالبي ، وقد استند فيه محققاه الأستاذان الإبيارى وحسن كامل الصيرفى إلى ثلاثة وثلاثين ومائة مرجع .

وهناك من المخطوطات المنشورة ما لم توضع له فهارس بمراجع التحقيق ؛ كما فعل الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون فى (المفضليات) ، وكما فعل الشاعر أحمد نسيم فى تحقيق (ديوان مهيار الديلمى) ، وكما فعل محقق كتاب (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزى المطبوع بالهند ، وكما فعل المرحوم كامل كيلانى فى تحقيقه (لرسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى ، وكما فعل الدكتور محمد حميد الله محقق كتاب (الذخائر والتحف) للقاضى الرشيد ابن الزبير ، وكما فعل الأستاذان محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوى محققا كتاب (الفائق فى غريب الحديث) للزمخشرى .

وتأتى أسماء الكتب عادة فى فهارس مراجع التحقيق مرتبة ترتيبا هجائيا ، فتبدأ بالهمزة وتنتهى بحرف الياء ، وَنَدَر أن نجد أسماء الكتب واردة بغير ترتيب هجائى ، وأكثر ما يكون ذلك فى الكتب المؤلفة لا المحققة ، فإن المحققين عادةً — لطول إلفهم لعمل الفهارس المرتبة — يؤثرون أن تكون أسماء الكتب مرتبة ترتيبا هجائيا فى فهارس الكتب .

ويحرص أهل الدقة والتحقيق من محققى المخطوطات المنشورة على أن يكون فهرس المراجع مشتملا على اسم الكتاب ، واسم مؤلفه ، ومكان النشر ، وتاريخه ، كما نجده فى فهرس مراجع التحقيق بكتاب (البخلاء) للجاحظ من صنع الدكتور طه الحاجرى ، وفهرس مراجع (البيان والتبيين) من صنع

الأستاذ عبد السلام هارون ، وثبت مصادر التحقيق لكتاب (طبقات الصوفية) من صنع الأستاذ نور الدين شريبة ، وفهرس مراجع تحقيق كتاب (حلية الفرسان ، وشعار الشجعان) لابن هذيل . على حين أن من المحققين من يؤثر الإيجاز فى فهرس الكتب فيكتفى باسم الكتاب دون ذكر لمؤلفه حينا ، أو مع ذكر لمؤلفه بعض الحين ، كما فعل المرحوم أحمد أمين ، والأستاذ السيد أحمد صقر فى فهرس الكتب بكتاب (الهوامل والشوامل) لأبى حيان التوحيدى . فقد وردت فيه أسماء الكتب الآتية بدون ذكرٍ لأسماء مؤلفيها : أخلاق الأمم ، أسرار البلاغة ، الإصابة ، البداية والنهاية ، التربيع والتدوير ، جمهرة أشعار العرب ، زهر الآداب ، السماع الطبيعى ، طبقات الأمم ، الكتاب ، كتمان السر ، اللباب ، مجمع الأمثال . ووردت فيه أسماء قلة من الكتب منسوبة لأصحابها : كالأخلاق لأرسطو ، والتمهيد للباقلانى ، والفائق للزمخشرى ، والكامل للمبرد . ولا يقال بأن الكتب التى تُركت أسماء مؤلفيها مشهورة وأصحابها معروفون ، فإن القارئ — مهما بلغت ثقافته بالكتب — فى حاجة إلى من يبصِّره ويزوده دائما بأسماء المؤلفين حتى لا يندّ عن ذهنه واحدٌ منهم ؛ وباب الكتب ومؤلفيها خضمٌ واسع ، لا بد له دائما من مذكِّر ومسجل ، التماسا للدقة ، وطلبا لأمانة العلم ، وحفظا للمعارف من الضياع .

فهارس المخطوطات الواردة فى المجلد العاشر

(من مكتبة داود الجلبي بالموصل)

(ا)

اسم الكتاب	رقم الصفحة
الأمداد والأرطال لمحمد باقر	١٣
انتخاب الاقتضاب المشتمل على سؤال وجواب فى الطب ..	٢٤،٢٢
انتظام قلائد العقيان فيما يورث الفقر والنسيان ، لرضى الدين الغزى	٣١
الأنوار اللائحة فى تفسير الفاتحة ، لاسماعيل بن عبد الله الموصلى	٣٨
أوراق من كتاب فى مسائل فرضـيـة	٣٥
الايضاح على أسرار النكاح للشيرازى	٢٧،٢٦

(ب)

البارع فى أحكام الطوالع لعمر بن الفرحان	٣٠
بحر الجواهر ، فى الطب القديم ، لمحمد بن يوسف الهروى	٢٢
بداية الهداية للغزالى	١١
بديع المعانى فى شرح عقيدة الشيبانى ، لنجم الدين العجلونى	٣٦
بديعية جلال الدين السيوطى	٣٦
برء الساعة ، للرازى	٢٣
بستان الحكماء وسراج العلماء ، للقمان الحكيم	١٧
بلغة الغواص الى معدن الاخلاص ، لمحيى الدين بن عربى ..	١١
بلوغ القصد والمنى فى خواص أسماء الله الحسنى	٢٩
البهجة للحسين بن منصور الحلاج	١١

(ت)

تاريخ الأنبياء	١٥
تاريخ الموصل ، للأب لنزا	١٥
التبصر بالتجارة ، للجاحظ	٣٨

(خ)

(د)

اسم الكتاب　　　　　　　　　　　　رقم الصفحة

اسم الكتاب	رقم الصفحة

(ص)

(ط)

(ع)

اسم الكتاب	رقم الصفحة
مجموعة مشاهدات ومنقولات ومجربات طبية ، لمحمد سليم الجلبي	٢٦
مجموعة من الأقوال والأشعار الحكمية لعبد الله جلبي	٢٠
محاضرات الأوائل ومسامرات الأواخر ، لعلي دده	١٥
محاكمة بين ما أورد بعض العلماء على قول خواجه زاده شارح الطريقة المحمدية لأحمد المرعشي	٢٤
مختصر تذكرة عز الدين أبي أسحاق ابراهيم بن طرخان ..	٢٦
مختصر على المقدمة الرحبية ، لابن سبط المارديني	٩
مختصر النزهة في الطب	٣٥
المخمسات	١٩
مسائل كالأغاليط في الفرائض ، لملا حسين الشيفكي	١٠
المصابيح السنية في طب خير البرية،لأحمد سلامة القليوبي	٢٦
معاهد التنصيص للعباسي	١٢
معجم أمراض الجلد	٢٨
المعشرات	١٩
معينة الطلاب على اكتساب صنعة الاعراب ، أرجوزة للشيخ عبد الله الفيضي الموصلي	٣٨
مفردات الطب المختار ، لمحمد جلبي (وانظر : الطب المختار)	٢٦
مفردات في الطب	٢٨
مقاصد الغوالي بقلائد اللآلي ، لمحمد بن سليمان المغرى ..	١٤
مقالة في أسماء أعضاء الانسان ، لأبن فارس	٢٨
مقامة لابن حمويه،ألفها عند سفر الملك الكامل الى الاسكندرية	٢٠
ملحمة دانيال	٣٠
المنح المكية في شرح الهمزية ، لابن حجر الهيتمي	١٨
المنظومة الدرية بمدح سيد البرية ، ليوسف بن عبد الله العمري الموصلي	٣٨

اسم الكتاب	رقم الصفحة
منظومة فى أجناس الحمى وعلاجها	٢٨
منظومة المفرح القوامى فى الطب،لقوام الدين محمد الحسينى	٢٨
منقولات من كتاب برء الساعة ، لأبى بكر الرازى	٣٦
منهل الأولياء ومورد الأصفياءفىسادات الموصل الحدباءللعمرى	١٧
ميزان الأدب المعروف بالحنفية	١٣

(ن)

نبذة فى معرفة العروق وفصل فى تزوير الأشياء	٣٣
النجديات للأبيوردى	٢٠
النجوم الشارقات فى ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها فى علم الميقات ، لمحمد الحسنى	٣٣
نزول الغيث للدمامينى	٣٢
نصاب الصبيان ، لأبى نصر فراهى	٣٦
النفحات الأنسية فى تبرئة عقائد الصوفية لمحمد سعيد النقشبندى	١١
نهاية القصد فى صناعة الفصد،لمحمد بن ابراهيم الأنصارى	٢٢،٢٥، ٣٣

(هـ)

هدى الحكم الى خير الحكم ، لعبد الله بن أحمد الموصلى	٢٢

(و)

وقائع فارس وايران ، لعثمان بن حبيب القارصى	١٥

(ى)

يواقيت المواقيت ، للفخر الرازى	٣٠

فهرس الكتاب

الموضوع | الصفحة

فهرس الموضوعات

الفهرس

مطابع
الشركة المصرية للطباعة والنشر
(فرع التوفيقية)

REVUE
DE L'INSTITUT
DES MANUSCRITS ARABES

Périodique Semestriel pour les manuscrits et les archives arabes.

Prix de l'abonnement : P.T. 100.

Toutes les communications relatives à la redaction doivent être adressées au :

Directeur de l'Institut des Manuscrits
Ligue des Etats Arabes
Midan El Tahrir — Le Caire
R.A.U.

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٠/٣٢٨

LIGUE DES ETATS ARABES



REVUE DE L'INSTITUT DES MANUSCRITS ARABES

Vol. 13 SHCABAN 1387 A.H. Fasc. 2
NOVEMBRE 1967 A.D.